RAY
PUBLISHING & SCIENCE

الطلاق..

قراءة تحليلية نفسية..
في خلل الوظيفة الأسرية وأثرها على الأطفال

د وتأليف:
تاذ الدكتور عبد الرحمن إبراهيم

٢٥٤،٢
ط ٤ ٩

الطـــــــــلاق..

قراءة تحليلية نفسية..

في خلل الوظيفة الأسرية وأثرها على الأطفال

الطبعة الأولى 2010
جميع الحقوق محفوظة
الناشر: شعاع للنشر والعلوم
حارة الرباط 2 - المنطقة 12 - حي السبيل 2
تلفاكس : 2643545 (21) 00963
هاتف : 2643546 (21) 00963
سورية ـ حلب
ص.ب 7875

لمزيد من المعلومات ولشراء كتب الدار مباشرة على الإنترنت

يرجى زيارة موقعنا http://www.raypub.com

البريد الإلكتروني للقراء: quality@raypub.com

info@raypub.com

البريد الإلكتروني للزبائن: sales@raypub.com

البريد الإلكتروني لدور النشر: orders@raypub.com

الطـــــــــلاق..

قراءة تحليلية نفسية..

في خلل الوظيفة الأسرية وأثرها على الأطفال

إعداد و تأليف

الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن إبراهيم

دكتوراه في الطب النفسي

استشاري السلوك الإنساني في حالتي الصحة والمرض

اختصاصي بالأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية والجنسية ومعالجته

الإهـــداء ..

من يلتقط اللؤلؤ .. يلتقطه بلطف ...

ومن يتعامل مع الإنسان .. أجمل لؤلؤة أوجدها الخالق على وجه الأرض ..

يجب أن يعامله .. بحب ..

عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل كلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيْلا(84) وَيسألونكَ عَنِ الرُّوحِ
قُلْ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّيْ وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلا قَلِيْلا (85) ﴾ الإسراء

صدق الله العظيم

بين يدي الكتيب

يعتبر الطلاق من الظواهر المنتشرة في جميع المجتمعات وفي جميع الحضارات عبر التاريخ، لكن الملاحظ في العقود القليلة المنصرمة انتشار هذه الظاهرة بشكل وبائي في العالم خاصة في أميركا وأوريا، أما في العالم العربي فإن الدراسات والإحصائيات تشير إلى أن نسبة الطلاق هي في ازدياد ملحوظ وإن لم تصل إلى ما وصلت إليه هذه الظاهرة في بلاد الغرب.

تختلف نسبة الطلاق من مجتمع إلى آخر، وبدأت النظرة الاجتماعية للطلاق تتغير وإن بتفاوت بين بيئةٍ وأخرى ومجتمعٍ وآخر، وغدا ينظر البعض إلى الطلاق على اعتباره بديل وحل، لهذا نجد الكثير في عصرنا أصبح ينظر إلى الطلاق على أنه خيار لحل الكثير من الأزمات العائلية بين الزوج والزوجة، وتنظر المجتمعات في الغرب عموما إلى الطلاق على أنه الملاذ من التوترات العائلية.. ففي تلك البلاد يتم تحطيم الحياة الأسرية والزوجية، ويتحقق الانفصال بين الزوجين بسهولة نسبياً لأبسط المشكلات التي لا يستطيع الزوجان مواجهتها.

للطلاق نتائج سلبية، وبعد الطلاق تأتي مرحلة جديدة لم يعهدها الزوج أو الزوجة، وهي التأقلم والتعايش مع الوضع الجديد.

حقيقةً هنا يجب التفكير بسؤال وهو هل يعتبر الطلاق أزمة أم نقطة تحول؟.. رغم أن الطلاق يعتبر من الأحداث الأكثر صعوبة في الحياة.

مهما يكن.. الطلاق يؤدي إلى صراعات عدة.. وهذا ما حاولت أن أعرضه بإيجاز في هذا الكتيب.. كما حاولت أن أعرض الآثار النفسية التي يتركها الطلاق على الأبناء.. إن الطلاق نقطة تحول تؤثر على حياة الأطفال وعلى نموهم النفسي والمعرفي والسلوكي. ومعظم الأطفال لا يقبلون طلاق الوالدين، إن نظرة الطفل لوالده الذي اختار الطلاق سلبية، فهو يعتبره تنازل عنه ولا يريده ويضحي به من أجل مصلحته، وأحياناً يعتبر الأطفال هذا الوالد أو الوالدة كمن يرفضهم ولا يتقبلهم. هؤلاء الأطفال يعيشون حياة نفسية مليئة بالغضب والإحباط مع عدم القدرة على فعل شيء مع الشعور بالحزن والألم والاكتئاب.

إن الهدف من هذا الكتيب هو أخذ فكرة بإيجاز عن أهم الجوانب النفسية المختلفة للطلاق بأسس علمية دقيقة لتساعد

الاختصاصيين والأطباء والمعلمين والمربين وحتى الآباء والأمهات وكل مهتم.. وتعمدت إضافة فصل يتعلق بالإساءة إلى الأطفال.. فمعظم الأبحاث والدراسات تؤكد أن أطفال الطلاق هم أكثر عرضةً للإساءة من أقرانهم..

كلي أمل أن أكون قد وفقت لتقديم ما هو جدير بالزمن الذي سيبدد أثناء قراءة هذا الكتيب.

عبد الرحمن ابراهيم

صافيتا 2009/06/15

مدخل

الطلاق أو الانفصال أو ما يمكن أن ندعوه خلل الوظيفة الأسرية أو الاختلال الوظيفي الزواجي..

إن الشدات (الضغوط) التي تتعرض لها العلاقة الزوجية عديدة ومختلفة، لذلك فإن استمرار وازدهار زواج معين يعتمد على الطريقة التي يقيس فيها أحد أو كلا الزوجين الحاجات الفردية الشخصية تجاه متطلبات الحياة الزوجية.

يمكن القول إن الشروط الحالية، الاجتماعية والثقافية والمعتقدات تلعب دوراً هاماً في النفور الزواجي الحاصل، وعادة يكون العامل الغالب هو عدم الرغبة بتجاوز الاستقلال الفردي والتسامح الذاتي، أكثر مما تلعبه عوامل اجتماعية جديدة متعددة.

ولا يعتبر دقيقاً القول بعدم وجود الزواج المضطرب في العصور والحضارات السابقة. وفقط نحتاج إلى براهين من أخبار وسوابق لا تحصى لنؤكد وجود اضطرابات زواجية.. منذ أن وجد الزواج، ولنرى بعض الأمثلة:

الكاتب المسرحي النرويجي الشهير هنري ابسن[1] *Henrik Ibsen*، كان عنده سمعة لا يستحقها في ذهن الشعب كمؤلف للدراما الاجتماعية والتي فقدت لياقتها مثل: بيت الدمية، الأشباح، عدو الشعب.

---

[1] هنري ابسن Henrik Ibsen ولد عام 1828 وتوفي في 23 أيار 1906 وهو كاتب مسرحي نرويجي، يعد من كبار كتاب المسرح في العالم كما يعتبر من أهم رواد الحداثة في القرن العشرين ويلقب بـ "أبو الدراما الحديثة" ولد في مدينة سكيين النرويجية، وفي عام 1844 أصبح صيدلياً مساعداً في مدينة غريمستاد.
بدأت شهرته مع ثاني مسرحية له وهي (عربة المحارب - 1850) في السنوات السبع التالية عمل مدير تحرير في مدينة برغن لمصلحة المسرح النرويجي.
عمل في كتابه المقالات الصحفية واتصل بالمسرح القومي في برغن ثم كوبنهاغن. نشر شعراً ونقداً وعدة روايات لم تصادف نجاحاً يذكر.
أهم أعماله المسرحية: "ندم على حياة محطمة، الأشباح، عدو الشعب، بيت الدمية، البطة البرية، هيدا غابلر، أيلوف الصغير، أعمدة المجتمع، جون غابريل بوركمان، عندما نستيقظ نحن الموتى".

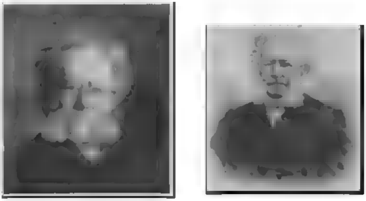

Henrik Ibsen

كانت مسرحياته تتناول ظاهرياً مواضيع معاصرة لذلك الزمن مثل تحرير المرأة، الأمراض الزهرية، والنزاعات بين الأخلاقيات الشعبية والخاصة.

لكن عبقرية ابسن ***Ibsen*** كمؤلف مسرحي تجاوزت حتى هذا، فقد كان ثورياً حقيقياً قادراً على اختراق أعماق النفس البشرية.. ففي مسرحيته (هيدا كابلر) يتحدث عن امرأة ممتلئة بالفخر والانتقام، متحكمة بزوجها تيسمان ***Tesman*** وكأنه لعبةٌ في يدها. وتماماً مثلما أعطت (بيت الدمية) مظهراً ساخراً للزواج كذلك فعلت (هيدا كابلر)، عدا عن كون الزوج هنا هو اللعبة.

وفي مسرحية عالمية أخرى (روسمر شولم ***Rosmersholm***) يذهب هنري ابسن ***Henrik Ibsen*** في استقصائه أبعد من القوى اللاواعية،

فنجد (بيكاويست) شابة ذكية ومتحررة فكرياً، تعمل في منزل (جوهانز روسمر)، ويسبب شوقها الذي يصعب عليها التحكم به نحو (روسمر)، دفعت زوجته العاقر (بياتا) للانتحار.

ولفترة بسيطة كان (بيكاويست) و(روسمر) سعيدين، ثم بدأت تعلم شيئاً فشيئاً أن الرجل الذي رفعها كفتاةٍ شابة، والتي أصبحت عشيقته هو والدها الحقيقي.

فتحت وطأة الشعور بالذنب والإجرام، وبأنها قامت بدور مشابه لدور أوديب مع والدها وزوجته، وهكذا (بيكاويست) أقنعت (روسمر) بذنبها الشديد، وأن يدخلا معاً في عملٍ انتحاري. وتنتهي المسرحية بقفزهما سوية (بيكاويست وروسمر) من أعلى جسر، وهو الذي رمت الزوجة (بياتا) نفسها منه سابقاً.

الكاتب السويدي أوغست ستريندبرغ[2] ***August Strindberg*** صوّر سيرته الذاتية من خلال مسرحية (الأب) والتي تعكس المعاناة الزورية ***paranoia*** لكاتبها.

---

2 August Strindberg (1849-1912): كاتب مسرحي وروائي وشاعر تميز بكرهه الشديد للمرأة وصراعات شخصيته مع الله والعدل والخلاص. ويُعتبر الشخصية الأكثر أهمية في تطوير الدراما الحديثة بعد هنري ابسن Henrik Ibsen. أهم أعماله: (الأب 1887، الآنسة جولي 1889، الجحيم 1897، حلم اللعب 1907).

من خلال المعلومات المتوفرة لدي واطلاعي على ما استطعت من الأدب العربي والعالمي، يمكنني القول لم أجد عملاً أدبياً أو مسرحية تعادل مسرحية (الأب) لأوغست ستريندبرغ ***August Strindberg*** في إظهار الكراهية القاسية للنساء وكل شيء أنثوي.

August Strindberg

ويمكن أن تلخص القصة باختصار شديد، فالكابتن إنسان ملحد يفكر بشكل حر، وهو بنفس الوقت عامل مقبرة وعالم. كان زواجه من زوجته (لورا) بارداً عاطفياً.

وعندما حاول الكابتن تثقيف ابنته (بيرتا) كمفكرة حرّة مثله، نشأ صراع بين الزوجين.

قامت (لورا) بزرع بذور الشك في نفسه عن أبوّته الحقيقية لابنتيهما، دافعةً به بشكل أعمق إلى غضب وغيرة وشك زوري، حتى أصبح عنيفاً في النهاية، ثم اقتيد إلى مشفى الأمراض العقلية.

في نهاية المسرحية يستلقي الكابتن بدون مساعدة أو أمل، وعندها تسأله زوجته (لورا) فيما إذا كان يعتقد بأنها عدوّته، فأجابها: "نعم، أعتقد أن كل النساء عدواتي، أمي لم تكن تريدني أن آتي إلى العالم، **لأن** هذا يسبب لها ألماً، كانت عدوتي، ولقد مزقت كيس الحمل لذلك ولدت غير مكتمل. وأختي كانت عدوتي عندما جعلتني أذعن لها. والمرأة الأولى التي أخذتها بين ذراعي كانت عدوتي فقد أعطتني عشر سنواتٍ من المرض رداً على الحب الذي أعطيته لها، وعندما كان على ابنتي الاختيار بينك وبيني، أصبحت عدوتي، وأنتِ زوجتي العدوة القاتلة، لأنكِ لم تتركيني إلاّ وقد أنهيتِ كل حياة بقيت مني..".

أسباب خلل الزواج

الفصل الأول

العوامل داخل النفسية

قد يضع المرء لائحة طويلة من أسباب خلل الزواج مثل: (الخلل في التعامل، عدم الارتياح الجنسي، تداخل الأهل، أعباء الأولاد، الصراعات على الأدوار والآمال المختلفة، ...).

على كل حال هذه الأمور ليست سوى أعراض للمشكلات الأساس التي تأتي خلف كل فشل في إنشاء علاقة ودّية ناجحة، وإن الميل نحو الصراعات حول التدابير والتسويغات الذاتية هو أكثر بكثير منه حول التفاهم المتبادل والتعمق في العلاقة.

ولنتأمل أولاً بعض التأثيرات التطورية التي تتدخل بحسن العلاقة بين الزوجين. وعلينا أن نهتم بالأهمية الهائلة للعلاقات الأولى مع الأشقاء والأهل. فالحب والكراهية للأهل والأشقاء عوامل شديدة التأثير في التطور الإنساني، وقد ذُكِرَت في العديد من

القصائد والروايات والقصص والمقالات والمسرحيات عبر التاريخ، فالصراعات الباكرة[1] مع الأهل عوامل هامة للصعوبات في علاقات الراشدين المتأخرة وتتجلى بوضوح خاصةً في الزواج.

لكن من الأهمية بمكان، من خلال تجاربنا أيضاً، العلاقة مع الأشقاء، وفي الحقيقة قد تكون الصراعات الأخوية الأكثر جاهزية ومطاوعة للعلاج عند المريض.

وكثيراً ما صادفنا من خلال خبرتنا السريرية الرجل يتعامل مع زوجته كما لو أنها أمه فعلاً، ولكن قد يعاملها كما لو أنها أخت محبوبة أو مكروهة أيضاً.

والأطفال الذين ليس لديهم إخوة أو أخوات لا يتجنبون الصراعات لأن غياب الأشقاء له دور متزايد على العواطف الوالدية، وفي الحقيقة اقترحت بعض الدراسات أن الأولاد الوحيدين قد يعانون من صعوبات في الزواج أكثر من الأفراد الذين نشؤوا مع أشقاء.

---

[1] للتوسع في فهم مراحل تطور الطفل والصراعات التي تحدث خلال مراحل هذا التطور وكيفية التعامل معها يرجى الاطلاع على كتابي "كيف نفهم الطفل والمراهق" الصادر عن دار شعاع للنشر والعلوم - الطبعة الأولى 2007.

ولاحقاً عندما يصبح الطفل مراهقاً فإنه يجسد من جديد وهم الحب الرومانسي (وقد ميز هذا النوع من الحب شعراء الجاهلية عند العرب وأدباء القرون الوسطى في أوربا. وإن الشهرة الكبيرة للحب الرومانسي التي ذكرت في القصائد والأغاني والقصص تصف عادة أشواق محبين غير متاحٍ كل منهما للآخر).

ولذلك فمن النادر أن تحدث رابطة رومانسية، وإن حدثت فلم يكن عليها أن تواجه الأحداث اليومية للحياة.

نحن كلنا معتادون على أفكار المراهقين باختراق النجوم، بكونهم فرساناً يرتدون دروعاً براقة ويأتون على أحصنةٍ بيضاء. وبكونهم العاشقين الأطهار والأدباء المبدعين، والعلماء الخارقين الأفذاذ والمحققين للمعجزات، ... الخ.

مثل هذه النظرة الرومانسية لا تستطيع فعل الكثير مع ضغوط ومصاعب الحياة اليومية، وهي إحياء رغبات طفليّة، مكونة بذلك وهماً بالأمان. والمحبوب لم يُحَب كشخص بل فقط كمصدر لكل الرغبات.

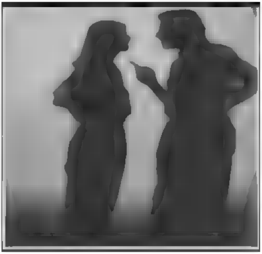

وهناك نتائج لا يمكن تجنبها لمثل هذه التوقعات مثل خيبة الأمل والشعور بالمرارة. وحتى لو كان بإمكان شخص ما أن يلبي كل هذه الحاجات، فإن الزوج الآخر الذي يطلب باستمرار سيغضب من اعتماده الكلي على زوجه، وسيُسقِط بعض العداء عليه.

وما يبدو أنه سيكون اقتراحاً مقبولاً هو أن الفشل الزواجي نتيجة الأوهام الرومانسية قد يتضاءل أو حتى يختفي مع ملاحظة الانتشار لدرجة الشيوع لظاهرة تزايد الجنس قبل الزواج في البلاد الأجنبية ومع الأسف تزايدها بشكل لافت للنظر أيضاً في بلادنا، وهذه الظاهرة لم تعطَ حتى الآن فرصة الدراسة والبحث الدقيق..

ولم تدعم بعد حتى في أوربا وأميركا، بدراسات ثابتة ودقيقة علمياً وثقافياً وإنسانياً.

وهذا النوع من الوصال (الذي يخيل للبعض أنه رومانسي) يبدو أنه مدفوع بعدد من العوامل النابعة من الرغبة بشريك جنسي ثابت ليبعد الوحدة. ورغم أن نمط الحياة العازفة عن الزواج قد أصبح سائداً ومقبولاً جداً في البلدان الغربية، فكثيراً ما نجد رغبةً كبيرةً عند المعتمدين على هذا المبدأ لإيجاد مرافقين.

ولذلك فإن الحاجة للحلم والأمل حول موضوع الحب المثالي تبقى، وقد تتقوى لديهم من وجهة نظر العاملين في ميدان الصحة النفسية، ويعتبرون أن الحب المثالي يمكن تحقيقه عبر العلاقات الجنسية العابرة مع درجات أكبر مما يدعونه الحرية الفردية، ولكن لي تحفظاً شديداً حتى من الناحية العلمية على هذه الآراء التي يطلقها الكثير من الباحثين والخبراء في العلوم النفسية في بلاد الغرب، فهناك مجموعة من الاضطرابات وليس اضطراباً واحداً لدى متعدد العلاقات الجنسية العابرة، أقلها اضطراب في الشخصية، مروراً بالاضطرابات النفسية الجنسية، عدا عن الأمراض والاضطرابات النفسية الأخرى، والفقر الوجداني والأخلاقي ... الخ.

كما أرى لا يمكن التنبؤ بمستقبل الشباب العربي في هذه الناحية رغم ملاحظات عدة في المجتمع العربي وأهمها تأخر سن الزواج لأسباب ثقافية وعلمية واقتصادية واجتماعية... الخ.

باختصار شديد، رغم حقيقة أن الحب الرومانسي غالباً ما يعطل المحاكمة النقدية، وأنه ربما يعيد الشريك إلى حالة من الأمان والسعادة الطفولية، ولكن يبدو أن الحب الرومانسي جزء كمالي لثقافتنا لتحقيق اختيار زواجي معتمد على قاعدة "أن الحب الرومانسي تأكيد على مطلب السعادة".

لذلك حتى ولو تزوج الأقران، فإن قدرة كل منهما على إنشاء علاقة زواج مبنية على مساندة حقيقية ستكون معتمدة على درجة السعادة التي يتوقعها كل منهما للآخر.

بالإضافة لهذه العوامل داخل النفسية فإن هناك مجموعة عوامل أخرى تلعب دوراً، فمنحى النمو ليس واحداً لكل فرد، وأن نتوقع أن منحى النمو سيكون متوازياً لكلا الفردين هي فكرة غير واقعية. وحسب رأي (بيرمان وليف ***Lief & Berman***) نجد أن

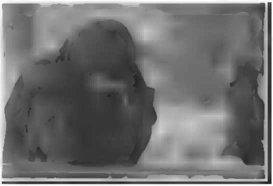

فترة الانتقال من العشرينيات إلى الثلاثينيات والتي تحدث فيها معظم الزيجات مرحلة تهديد كبرى لمعظم الزيجات في الغرب، خاصة التي يعمل فيها الزوجان. فالزوجة تحدث انزياحاً تطورياً من شخصية معتمدة غير آمنة إلى شخصية مستقلة كفوءة وجذابة وتصبح سيدة **Lady**، وهذا قد يسبب تناقضاً واضحاً في معدل نمو الزوجين، ونظاماً جديداً من الخصوصيات في الزواج.

وهنا دخل الزوج بمتاهات المهمات التقليدية بإعالة الأسرة والحفاظ على مستوى متين، بينما تصبح الزوجة محتارةً بين الخيارات الجديدة والمقدَّمة لها.

وفي الزيجات التي يعمل فيها أحد الزوجين فقط، لا يزال الرجل هو الأكثر انخراطاً في الممارسة المهنية، رغم أن هذا قد يتغير مع ارتياد النساء المتزايد للعمل المهني. ويبدو أن التهديد التطوري لاستمرار الزواج - سواءً في الزيجات التي يعمل فيها أحد الزوجين فقط، أو الثنائية المهنية (التي يعمل فيها كلا الزوجين) - يزداد بصورة عامة عندما تكون الرغبات والأهواء مقيدة أو غير خاضعة لتغيرات في الذات.

قد يأخذ خلل الزواج في هذا الوقت عدة مظاهر، ويعتبر بعض الباحثين في الغرب أنه ربما يأخذ خلل الزواج شكلاً من أشكال الانفجار في العلاقات الجنسية خارج الزوجية كنوع من التعويض عادة عن بعض الحرمان العاطفي. وقد يحدث انسحاباً متزايداً سواءً عاطفياً أو جسدياً، وقد تحل النزاعات والصراعات مكان الروابط الشعورية والجنسية. والزوجان اللذان كانا مدفوعين بآمال وتوقعات متبادلة أصبحا عدوين لدودين وأصبحت غرفة النوم حقلاً مسلحاً ومليئاً بالألغام.

العوامل بين الأشخاص

يمكن أن يرى الزواج أيضاً كنظام تأثير متبادل، حيث التبادل أساس، ونقص هذا التبادل يؤدي مباشرةً للخلل، والنظام بحد ذاته يخلق حاجات يجب أن يحافظ عليها، وأي تغير في أي مركب - مهما كان زهيداً - يخلق تغيراً في كل وجوهه.

وهذه النظرة الأوسع والتي توسع طريقة دراسة الخلل الزواجي، متجاوزةً حدود مشاكل الشخصية الفردية لأي من الأعضاء، نادى بها (بيرمان وليف *Lief & Berman*) عندما لاحظا أن العلاج الزواجي يجب أن لا يرتبط فقط بالصراعات داخل النفسية، ولكن الأكثر أهمية أن يهتم بالمظاهر المحيطية والعائلية والمتعلقة بشريك الحياة.

وهؤلاء الكتاب اعتبروا الحرائك الزوجية موجودة عبر ثلاثة أبعاد هي القوة، المودة، والتضمن - الاستبعاد Exclusion - Inclusion. وكل فرد يرى أنه حاوٍ على آلية حل الصراعات بين:

1. الرغبة في الإسعاد والحاجة الشخصية للسيطرة.

2. الرغبة في التقارب والحاجة إلى الانفصال والبعد.

3. ملكات الزواج، والملكات المرتبطة بالنشاطات والأفراد الخارجين عن مجال الزواج.

بالنسبة لـ (**بيرمان وليف** ***Lief & Berman***) كلما كانت الحلول صارمة وثابتة كلما ازداد خلل الزواج. أما بالنسبة إلى كل من **ساجر** ***Sager*** **وكابلاين** ***Kaplan*** فقد أخذا نظرةً مختلفةً بعض الشيء حول العلاقة الزواجية، إذ اعتبراها ضمن مفاهيم "**الحرائك التعاقدية** ***Contractual Dynamics***" وأعلنا أن سوء التناغم الزواجي يبدأ عندما لا يستجاب لحاجات أحد الفردين. والفرد الذي أصيب بخيبة الأمل يختبر الفشل كجهدٍ واعٍ، مقصود وعدائي من الفرد الآخر الذي لا يلبي مفاهيم "**التعاقد الزواجي** ***Marriage Contract***"، رغم أن الفرد الجاني قد يكون غير عالم بماذا تعني هذه المفاهيم أو غير قادرٍ على القيام بها.

وبهذا يصبح كل فرد متحدياً للآخر ويتحول الزواج لمعركة مستمرة لتنفيذ الانتقام ولإنشاء توازن تعويضي. وهي عادة الزيجات التي تحوي على مناطق واسعة من الفشل والمُخاتلة الواعية منذ البداية،

بسبب خوف وقلق كل من الزوج والزوجة حول علاقته بالطرف الآخر وفيما إذا كان مقبولاً ومرغوباً به من هذا الطرف الأخر.

حقيقةً، فقط عندما يتغير أحد الزوجين، ويرغب بعلاقة أكثر مساواةً وتماثلاً، يدخل الزواج في الخلل بتعبير سريري. على سبيل المثال، من الصعب جداً أن تتغير أو تنتهي الزيجات السادية - المازوخية. لكن هناك بعض التغيرات الدقيقة على هذه العلاقة التي تعتبر مقاومة جداً أيضاً للتداخل الخارجي.

وطالما أن أحد الفردين يرغب أن يكون والداً أو والدةً وعنده طفل يمثل شخصية الشريك الزوجي (وكأنها علاقة بين والد وابنته أو والدة وابنها)، أو أن أحد الفردين يرغب أن يكون مسيطراً والثاني يرغب أن يكون منقاداً، فإن الزواج قد يستمر في توازن لزمن طويل، وأبداً لن يصل لمرحلة الخلل.

على الرغم من أننا نفكر بأن الرجل هو السيد، فهذه الفكرة شديدة السذاجة والإغراض، لأن النساء أيضاً يستطعن أن يقمن بهذا الدور، ونرى هذا بشكل خاص في زوجات الكحوليين المزمنين أو العاطلين عن العمل، أو زوجات الحالمين والذين لا يبدو لهم شيء من الواقع مناسباً من أجل مهاراتهم المتفردة. أو النساء

المرتابات (من ريبة) بأنفسهن مع الأزواج المعاقين بشدة بشكل إرادي، فهنا في هذه الأمثلة كلها، نرى غالباً المرأة هي السيد.

وبينما يوضح عدم الارتياح الجنسي كسبب لتحطم الزواج، تكون هذه الشكوى كما لاحظنا، عرضاً بسيطاً للصراع المخبّأ وراءه، والذي يتخذ السرير والفراش قاعدة وحقلا للنزاع.

بشكلٍ عام يساء غالباً للجنس في الزواج القائم على الصراع، وقد يستعمل من أجل الاستغلال، المعاقبة، المكافأة، أو لتلبية حاجات الشخص النفاسية وحتى الذهانية، وقد يصبح الفرد مصاباً بالعنانة بسبب الصراعات داخل النفسية أو الصعوبات بين الأشخاص، ومن ثم يصبح الجنس كوسيلة للتلاعب بها أو عليها. ويمكن للجنس أن يكتسب صفة الرمزية كلغة لنقل مراسلات بين الأفراد، ولكن في الزواج المختل تكون كل الوسائط سلبية بما فيها الجنس. ويمكن أن يتواجد الخلل الجنسي كمشكلة أولى في الزيجات، ولكن إذا كانت الطاقات، من أجل علاقة مفيدة،

فعالة وموجودة، فقد يتوقع أن يتطور الزواج على عدة أصعدة، طالما أن الصعوبة الجنسية تستجيب للمعالجة.

أود أن أشير هنا إلى أمر هام جداً وهو ما يعتقده كل من المعالجون والمرضى بأن التحسن في الصعوبات الجنسية سيقود إلى تحسن في العلاقة الزوجية، وهذا خطأ فادح.

فإذا كان الزواج مبنياً على أسس جيدة فإن العلاج الجنسي سيكون له فائدة عظمى، ولكن إذا كان الزواج أصماً فعندها سيقود العلاج الجنسي إلى وضع أسوأ.

من المهم أن نبقي في أذهاننا كمعالجين وأخصائيي صحة نفسية فكرة أن هناك كثيراً من الزيجات غير السعيدة والتي تكون فيها الآليات الجنسية جيدة. وهناك زيجات قائمة على الثقة والحب والاحترام المتبادل تستطيع فعلاً أن تبقى، حتى مع وجود اضطراب جنسي عميق كالأذية الشللية في النصف السفلي للجسم على سبيل المثال.

الأولاد

إن الحدث الذي قد يكون له القدرة الكبرى على الإخلال باستقرار العلاقة هو دخول الأولاد. وإن معظم الزيجات تحدث

معتمدةً على دافع ولادة أطفال بحكم الواجب، ولكن دافع بناء عائلة نادراً ما يكون هو الأساس للزواج. وفي الحقيقة، في السنوات الأخيرة، فإن الزوجين الشابين أصبحا في الكثير من دول الغرب يقرران بشكل متزايد عدم إنجاب الأولاد نهائياً، أما في بلادنا فبدأت تلاحظ ظاهرة تدعو للانتباه وهي محاولات الأزواج تأخير الإنجاب إلى عدة سنوات.

إن الدوافع التي تأتي خلف إنجاب الأولاد معقدة جداً، وتدخل كاستجابة للضغوط الخارجية أو الحاجات الداخلية التي قد تكون ملاحظة فقط بشكل مبهم أو تكون خارج حدود الوعي تماماً. وفي كل حدث فإن القادم الجديد يغير النظام ويتطلب من الأهل إعادة بناء علاقتهما، وإعادة البناء هذه قد يكون لها تأثير مكافئ

معوّض ومقوّي للعلاقة، ولكن عند البعض قد تؤدي أحياناً إلى تحطم وتدمير العلاقة.

إذاً: مهما كانت النظرة التي نأخذها للزواج، سواءً بتعابير داخل نفسية أو بين الأشخاص، أو كليهما، فهذه الشراكة أو النظام الهش هو الآن في خطر بسبب دخول مجموعة جديدة من المتطلبات عليه. وإن انتقال الانتباه نحو الطفل يخلق فرصة تغيير وتخفيف للصراعات القائمة، ولكن قد يخلق أيضاً فرصة لصراعات جديدة حول مواضيع القوة والحكم، وفرصة لبناء فعاليات مبعّدة ومنفّرة. وإن الاعتبارات الشعبية تناقض ما أوضحته الدراسات العائلية والتي بينت باستمرار بأن الزيجات الميالة للصراع لا تتحسن بوجود الأولاد، بل على العكس، إذ يصبح الأولاد كأنهم دمى تستعمل بيد أحد الزوجين ضد الأخر.

العوامل الاجتماعية والثقافية

من الضروري الآن أن أتحدث عن تأثير المعايير الثقافية والاجتماعية بعد أن تحدثت عن كل من دور العوامل داخل النفسية والعوامل بين الأشخاص.

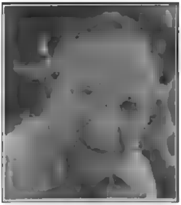
J.R.Udry

يقترح **J.R.Udry** في كتابه "**المحتوى الاجتماعي**" أن أربعة أنظمة أساسية تلعب دوراً في الزواج وهي:

1. التقليد الديني.
2. المساواة الديمقراطية.
3. الفردية.
4. المذهب الدنيوي.

وإن التغيرات الدرامية التي أخذت مكانها بسبب هذه الأنظمة والاعتقادات لم تبدل فقط من التوقعات والمتطلبات التي يعتقد بها المقدمون على الزواج، ولكن أيضاً تصيب توازن الزيجات طويلة الأمد باضطراب. وإن المذهب الدنيوي خاصة (أي إبدال القيم الدينية بقيم اجتماعية) هو الذي يلعب دوراً أكبر بالتلاؤم الزوجي في الغرب عموماً وأميركا خاصة. وإن الزواج المنظور إليه كنظام مقدس محافظ عليه من قبل التقاليد غير المحسوسة، قد تأثرت أهميته في العقود الأخيرة كنتيجة للدنيوية المتزايدة في أغلب بلدان العالم.

كتبت العالمة الاجتماعية (جيسي بيرنارد) كثيراً عن التلاؤم الزوجي وهي تصّر على وجود نمطين من الزواج: أحدهما خاصته والآخر خاصتها. وإن اعتقدت بيرنارد بأننا نتعامل مع معيار مضاعف من الصحة العقلية والتي تحقق في النساء مساواة التوافق مع التكيف الكافي، فإن احتمال الخلل الزواجي تجربة شائعة لكثير من النساء، واستنتجت بيرنارد أن معظم النساء يقبلن بالضغط الزواجي طالما الرفقة الاجتماعية متوفرة بأدنى حدودها من قبل أزواجهن. على كل حال فإن هذا النهوض المقترح للنساء قد يزيد من الخلل من وجهة نظر الزوج، لأن للرجال أيضاً معاييرهم الاجتماعية المستبطنة، فإذا كان رأي الزوج في المرأة المرغوبة هو زوجة مثقفة واجتماعية لتقوم بالتزاماتها من تعاطف ومنافسة في نفس الوقت، فسيكون فشلها في أداء مستوى عالي من التربية خيبة أمل شديدة له.

وكقوةٍ اجتماعية، فإن الحركة النسائية تؤثر على الزواج بصورة حتمية فالزواج حسب كل الأعراف الاجتماعية عبر التاريخ البشري يميل ليعطي أنماطاً معينة وبخاصة نمطاً معيناً لدور كل جنس، وهذا الدور النمطي هو الذي تعارضه الحركات النسائية في معظم دول العالم الغربية وليس الزواج بالذات، وليست كل

النساء مرتاحات لهذا التحرر من هذه النمطية، وأيضاً ليس كل الرجال يهددون بما يسمونه بتحولات في التوازن بين الجنسين. ولكن داخل هذا الجو من الخلل والتناقض، تريد العديد من النساء أن تزيد شرعية الأهواء المضادة لتكوين الأسرة، ولذلك أي فحص لأسباب الثبات، أو عدم الثبات الزواجي يقتضي مجموعة أسئلة تؤخذ بعين الاعتبار، وقد يوحي قرار الزواج المطبق حالياً أكثر من السابق، وأيضاً قرار عدم الإنجاب، قد يوحي بشعور متزايد بالاستقلالية، ليس فقط من أجل عدد من النساء بل وللرجال أيضاً.

لذلك فقد تغيرت في الكثير من المجتمعات الغربية المعاصرة أنماط الزواج التقليدية. فإن الزواج المعاصر في هذه المجتمعات يجب أن يكون رفقة من المساواة والسكينة، وليس معركة من أجل القوة والسيطرة أو نمط من العلاقة الأبوية - الطفلية.

ولكن حذار من الخطأ الذي قد يقع فيه الأطباء والمعالجون غير المدربين بشكل كاف من أصحاب وجهة النظر الفردية أو الزوجية والذين يحاولون أن يخلقوا تغيرات جديدة بشكل غير متعقل في المعايير الثقافية وبشكل سريع لمرضى غير مهيأين، فقد يقدموا

أذى أكثر من الفائدة المرجوة، وإن الإيحاءات أو الإيعازات الصادرة عنهم إلى النساء السلبيات أو الرجال السلبيين بالتحرر من الزواج ترى كاضطرابات من قبل المعالجين.

لكن على الغالب ليس بالضرورة أن تأتي هذه الآراء من قبل الأطباء الممارسين بل في غالبها - لسوء الحظ - تصدر عن المختصين، وألفت النظر إلى أن آراءهم وإيعازاتهم قد تكون أكثر تخريباً وتهديماً من أن تكون مساعدة.

الفصل الثاني

الانفصال والطلاق

كما ذكرت سابقاً، ليست كل الزيجات المضطربة تقود إلى الانفصال أو الطلاق، فبعض الزيجات التي قد تبدو مختلةً للخارج تبقى مستقرة وفعالة حتى نهاية العمر. ولن آخذ بعين الاعتبار هنا التخلي أو الهجر لأنها لا تشكل طريقة ثالثة بنفس معنى الكلمتين السابقتين. وعندما يحدث الهجر فليس هناك أية فرصة للمفاوضة والتقرير بين الزوجين، والبلدان في العالم ذات قوانين الطلاق الضيقة، تسمح بمرحلة من الهجر، حتى يصبح الطلاق الشرعي أو القانوني ممكناً.

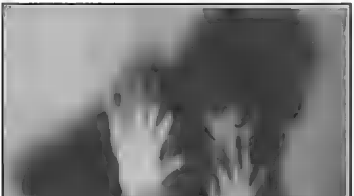

إن الانفصال قد يخدم عدة أهداف فهو يسمح ببعض الوقت للمحاولة واستكشاف ما لم يقرر. وهو بالنسبة لهؤلاء الذين لا يستطيعون العودة للحالة الفردية، يقدم إحساساً بالأمان، ومن أجل الأناس النزقين فإنه يحميهم من حدوث إجراء زواجي خلال مرحلة من عدم التأكد وإعادة التلاؤم. والانفصال قد يكون الشكل الوحيد للحل المتوفر أو المقبول في ظروف محددة حيث الضغوط الدينية أو الثقافية أو العائلية ضد الطلاق قوية تماماً.

إن المعلومات المطبوعة عن الانفصال والطلاق بلغت بضعة آلاف من الكتب والأبحاث والدراسات في العالم الغربي عدا عن المنشورة على الشبكة العنكبوتية شبكة الإنترنت، متناولةً جميع جوانبهما، أما في عالمنا العربي ورغم الجهود التي يبذلها بعض الباحثين والعلماء إلا أنها جهود تكاد تكون فردية في معظمها ولم تزل قليلة وفي مراحلها الأولى خاصة على صعيد المجال النفسي..

وعموماً تشير كل المعطيات المتوفرة إلى ازدياد واضح في عدد حالات الطلاق وتسجل أعلى نسبة عالمياً في الولايات المتحدة خلال العقود الأخيرة.

فيما يلي أعرض لبعض نتائج الدراسات والإحصائيات المعاصرة في المجتمع الأمريكي، إذ يلاحظ أن معدلات نسب الطلاق إلى الزواج تعطينا معلومات هامة فالمعطيات المعاصرة تشير إلى حدوث الطلاق في 33% على الأقل من الزواج الأول، و40% من حالات الزواج الثاني، وأكثر من 50% من كل حالات الزواج المتكررة..

وتشير الإحصاءات المعاصرة في أميركا إلى تضاعف معدل الطلاق خلال السنوات 1960-1971 وتضاعفه مرة ثانية خلال السنوات 1970-1980، وتضاعفه مرتين بين 1980-1990، وتضاعفه أكثر من مرتين ونصف بين 1990-2000..

كما أن عدد الأطفال الذين انفصل آباؤهم بالطلاق قد تضاعف قرابة الأربع مرات في الخمسين سنة الأخيرة. وحالياً قرابة المليون ونصف المليون طفل كل عام يعانون من تحطم عائلاتهم في الولايات المتحدة الأميركية وحدها.

كما ازدادت نسبة معدلات الطلاق أيضاً بين الزوجين المتقدمين في السن بعد نمو أطفالهم، فتشير الإحصاءات إلى أن حالات الطلاق بين الزوجين اللذين مضى على زواجهما 15-19 عاماً ازدادت

بنسبة 100% منذ 1960، واللذين مضى على زواجهما أكثر من 20 عاماً بنسبة 55% منذ 1960.

مما سبق يلاحظ إن معدلات الطلاق مرتفعة في الولايات المتحدة أكثر من غيرها، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنه يوجد فيها اضطراب زواجي أكثر من غيرها، لأن قوانين الطلاق والتقاليد الاجتماعية تختلف كثيراً. ففي بعض البلدان -خاصة في جنوبي أمريكا - على سبيل المثال، من الصعب جداً الإقدام على الطلاق إلا إذا كان الشخص شديد الثراء، أما في إيطاليا مثلاً فخلال الربع الأخير من القرن الماضي فقط وضع نظام طلاق محافظ بعد سنوات طويلة جداً من النقاشات الحادة والمباحثات والجدال. وحتى في البلاد التي يسهل فيها الطلاق، قد يجلب ذلك وصمة عار وفقدان للميزات وهذا واقع نلاحظه في الكثير من المناطق في العالم كالبلاد العربية والهند واليابان.

بالنظر إلى إحصائيات أخرى فإننا نلاحظ أن الطلاق حالياً أعلى منه سابقاً بين الطبقات الاقتصادية الاجتماعية المتدنية في أميركا، إذ أن الطلاق فيها على الأقل ليس امتيازاً بين الأغنياء. ويبدو أن الطلاق فيها أكثر بين الأفراد الذين آباؤهم قد تطلقوا أو انفصلوا،

والمعدل أعلى بين الزوجين اللذين تزوجا بين سن الخامسة عشر والتاسعة عشر وفق أحدث الإحصاءات المنشورة.

على كل حال، فكلا الحقائق الإحصائية والملاحظات السريرية تدل على أن معظم الأفراد المطلقين يدخلون في زيجات ثانية وثالثة.

وقد نتساءل كيف يتم التعامل مع معدل الطلاق المتزايد وما هي الحوافز التي تجعل الأفراد يعودون للزواج ثانيةً، وماذا يؤثر هذا التصرف على الزواج كمظهر اجتماعي؟ ويبدو أن هناك القليل من المنطق لنشك بأن الأساطير والأوهام لها علاقة بالطلاق كما لها علاقة بالزواج، ونجد أن حالات الطلاق تحدث في كل فئات الأعمار، وإذا كانت الصراعات النفاسية لا تزال تعمل فعندها في كل الاحتمالات ستتداخل في إنشاء علاقة جيدة في الزواج الثاني كما فعلت في الأول.

وعلى كل حال فبعض هذه الحاجات النفاسية تتغير مع الزمن والنضوج، كما لاحظ بعض الأخصائيين النفسيين ومنهم سيغموند فرويد *Sigmund Freud* منذ قرابة القرن من الزمن في كتاباتهم العديدة عن إعانات إلى سيكولوجيا الحب، ففي حال استعمال

الحنق والغضب في الماضي ضد الشريك الزوجي الأول، فإن الزواج الثاني قد يكون أفضل.

وهناك لحظات مؤكدة يصبح فيها الطلاق خطوةً بناءةً منمية، والبقاء على علاقة مهدمة دون أمل منها هو دلالة على حديثة مرضية لا عن صحة نفسية وعقلية. ولكن حتى في مثل هذه الحالات، فإن كلمة تحذير يجب أن تقال لأن الشخص المطلق لا بد أن يظل مواجهاً لقلق الاستقلال، وفقدان العمل المنظم مع الأصدقاء المتزوجين، الاكتئاب، ... وحتى أحياناً الشعور بالوحدة والتناقض الشديد نحو الزوج السابق، والإحساس بالفشل والخجل والذنب المرافق لإحداث الألم بالنسبة للأبناء.

الفصل الثالث

أطفال الطلاق

إنّ الانطباع العام لكافة الناس قبل أن يكون انطباعنا السريري كأخصائيين في الصحة النفسية. هو أنه رغم أن الزيجات لم يحافظ عليها من أجل سلامة الأطفال، فإن درجة كبيرة من الإنكار تعمل في الأهل من الجنسين احتراماً لما يعنيه تخريب عش الزوجية للأطفال، وبالحد الأدنى فإنه يعني انفصالاً عن أحد أعز شخصين مهمين في حياة الطفل، وفقداناً لأهم الأوضاع الاجتماعية بالنسبة له. وقد أكدت الدراسات المعاصرة أن الأطفال قد يرتكسون للطلاق باكتئاب

متوسط إلى شديد، أو بمرض جسدي، أو بحوادث وأعراض أخرى.

Judith Wallerstein

في عام 1971 بدأت كل من ***Judith Wallerstein*** (وهي عالمة اجتماعية) و***Joon Berlin Kelly*** (وهي عالمة نفسية) بدراسة لمدة خمس سنوات عن 131 طفل من 60 عائلة مطلقة في ضواحي كاليفورنيا الشمالية، فوجدتا أن عدداً قليلاً جداً من هؤلاء الأطفال شعروا بالراحة بعد الطلاق، حتى في الحالات التي كان فيها صراع واضح بين الوالدين. وإن الأطفال قبل سن المدرسة غالباً ما يؤكدون بأنهم كانوا السبب في الطلاق، فهم خائفون، مرتبكون، حزينون ومهتاجون، يائسون وهم أيضاً يحاولون إنكار الانفصال، وفي الوقت نفسه يكونون عدائيين في تصرفاتهم.

أما أطفال المدارس الأولى (6-8 سنوات) فيظهرون أكثر معاني الحزن، وهؤلاء بشكل خاص يظهرون أكثر من غيرهم توقاً

شديداً خاصاً نحو الرغبة برؤية الأب، وأساهم يتشابه كثيراً مع أسى آبائهم، وهم يظهرون صراعات على الحقوق أكثر بكثير من أطفال قبل المدرسة.

في حين أن الأكبر سناً (9-12 سنة) قادرون على التعامل بشكل فعال أكثر لإخفاء كآبتهم، ولكنهم يظلون يشعرون بالنبذ والمهانة، والهجر والوحدة، والذي يميز هذا الصنف بشكل

خاص عن الأطفال السابقين هو وجود غضب واع عميق يقود غالباً إلى تخطيط مع والد ضد الوالد الآخر.

أما المراهقين (13-18 سنة) فهم قادرون على التعامل مع الطلاق بصورة أكثر واقعية من كل فئات الأعمار الأخرى، لكن العديد منهم يظل يشعر بالحرمان من الموقف الصحيح والدعم الوالدي اللازم لهم للنمو وتحقيق الاستقلال.

وجدت والرشتاين وكيلي ***Judith Wallerstein*** و ***Joon Berlin Kelly*** في النهاية أنه في كل فئات الأعمار هناك رغبة مستمرة برؤية الوالدين وقد عاد اتحادهما، وأن يحل هذا الوئام مكان الانفصال القائم.

وفي هذه المتابعة لخمس سنوات للعائلات الستين، تعجبت كلتا العالمتان والرشتاين وكيلي ***Judith Wallerstein*** و ***Joon Berlin Kelly*** لشدة وطول أمر الاضطرابات، وقد وجدتا أن 31% من الآباء و42% من الأمهات لم يصلوا بعد إلى ثبات نفسي أو اجتماعي، وأن 37% من الأطفال والمراهقين لا يزالوا مكتئبين خلال هذه السنوات بشكل متوسط إلى شديد.

لقد أظهر تقرير Census لعام 1982أنه في عام 1970 كان 11% من كل العائلات التي لديها أطفال تربى الأطفال من قبل والد واحد، ولكن في عام 1982 ارتفعت هذه النسبة إلى 21%، وقد

قدّر أن 45% من الأطفال المولودين في أية سنة سيعيشون مع أحد والديهم فقط، في وقتٍ ما من حياتهم قبل سن 18. والحقيقة أن الإحصاءات التي جرت مع مطلع الألفية الثالثة في أميركا عام 2002 تجاوزت هذه النسبة إلى ما يقارب 52%.

بالنسبة لهذه النظرة، من المهم أن نلاحظ أن الآباء الذين يقومون بالوصاية على أولادهم، يزداد عددهم بناءً على طلبهم، وأحياناً بناء على طلب الأمهات. وفي الحقيقة فعدد الأولاد الذين يعيشون مع آبائهم المطلقين قد ازداد كثيراً في السنوات الأخيرة. وازداد عدد مطالبات كلا الزوجين بتحديد أوقات زيارات نظامية ومطولة بين الأولاد والأب عندما تكون الأم هي الوصية، وذلك لاستفادة الأولاد من اللقاء المطول مع كلا الوالدين.

هناك توجه يعمل به في الغرب لتجنب الألم الناجم عن التنافس على الوصاية في المحاكم، وأن يشعر الولد بنفسه ممزقاً شعورياً بين الأم والأب، وهو بأن الوالدين أصبحا يهتمان بتناوب الوصاية في تلك البلدان، وبالمسؤولية المتساوية في الاهتمام بالأولاد. فعلى سبيل المثال في عام 1983 اعتمدت 27 ولاية أمريكية قانوناً يبيح تناوب الوصاية، ومثل هذا الإجراء يعمل بشكل أفضل طبعاً عندما يعيش الوالدان في نفس المدينة وعلى علاقة جيدة ببعضهما.

ولكن قد يعاني الأولاد من الدخول في المحاكم عندما يسكن الوالدان في مدينتين مختلفتين، أو مع الوالدين المتخاصمين.

وهذا النمط من تناوب الوصاية في الغرب عموماً يقف كحاجز ضخم أمام بعض أنواع حالات الطلاق التي لا يريد فيها أياً من الوالدين القيام بالوصاية على الأبناء. وفي حالات كثيرة في تلك البلاد تهجر المرأة أسرتها حتى دون انتظار الانفصال القانوني، وهناك أعداد متزايدة من النساء المتزوجات اللواتي كنا نقرأ إعلانات كتبت عنهن ببساطة أنهن مفقودات. وفي العقود السابقة كانت هذه الأمور تحدث مع الآباء. وإذ لم يكن هناك أحد ليهتم بهؤلاء الأبناء فيصبحون مسؤولين من قبل الولاية، ويوضعون في مآوي الأيتام أو بيوت الاحتضان. وهذه المآسي الإنسانية التي تنجم عن انعدام المسؤولية الوالدية تحدث بكثرة لا يستهان بها في الدول الغربية، وقد يكون **Rabbi Grollman** محقاً عندما قال أن الطلاق ربما يكون أسوأ من الموت فيؤكد: "مع نهاية الألم، لقد مضى... أما مع الطلاق لم يمض شيء".

Rabbi Grollman

أما في البلاد العربية والإسلامية، فالقوانين المعمول بها في موضوع الوصاية على الأبناء مستمدة بشكل رئيس من الشريعة الإسلامية، وإن تفاوت تطبيقها من بلد لآخر نتيجة الاجتهادات القانونية أو الشرعية أو غيرها في هذا المجال.

تشتت العائلة

الفصل الرابع

يعتقد **_Urip Bronfenbrenner_** أستاذ الدراسات العائلية في جامعة كورنل، إن التشتت المتطور الذي ازداد في العائلة الأمريكية في العقود الأخيرة هو عامل كبير في درجة العزلة والغربة بين الشباب والراشدين في مجتمع أميركا اليوم.

وإن الطلاق له دور في التشتت بشكل أكيد، وكذلك التمدّن، وكثرة الحركة وابتعاد مناطق العمل عن الإقامة، ومما ينجم عنه وجود ساعات طويلة تصرف على الطرقات، وتضيق العائلة الواسعة، والارتفاع السريع في معدل عمل الوالدات.

إن النسبة المئوية للعاملات خارج البيت في أميركا هي أكبر بكثير منها في عام 1955، وكما أوضح **برونفينيرتو** أن الازدياد الأكبر حدث لأمهات الأطفال قبل سن المدرسة، وفي عام 1980 كانت 43% من الأمهات المتزوجات واللواتي لديهن أولاد تحت الست سنوات يعملن، وكان عدد الأطفال لهذه الأمهات سبعة ملايين طفل في الولايات المتحدة الأمريكية، في حين كانت متوفرة أماكن لرعاية 1.6 مليون طفل فقط.

ويجب أن يلاحظ أيضاً أن الاقتصاد المتضخم الذي بدأ يغلب منذ السنوات الأخيرة من السبعينات من القرن الماضي هو السبب الأكبر لعمل الزوجين، فقد أجبر كثيراً من النساء المنزليات على مغادرة المنزل من أجل العمل. في عام 1980 كانت 51% من الأمريكيات يعملن خارج المنزل فتفوق عدد النساء العاملات على المنزليات بذلك لأول مرة في تاريخ أمريكا، وفي نهاية عام 2000 أصبحت هذه النسبة أعلى من 69.8%.

أما الإحصائيات المتعلقة بالصحة العقلية للأطفال والمراهقين في الولايات المتحدة الأمريكية فهي مرعبة، إذ إن معدل الانتحار بين الأطفال بعمر 10 إلى 14 عاماً قد ازداد قرابة الثلاث مرات ونصف، عنه قبل 40 سنة، ومعدل الانتحار بين المراهقين بعمر 15 و19 عاماً ازداد أكثر من 4 مرات، وإن الجرائم العنيفة من قبل الأطفال تزداد بسرعة كبيرة، ومعدل جرائم السطو

المسلح والاغتصاب وعموم الجرائم بين المراهقين قد تضاعف مرتين خلال العشر سنوات الماضية، وتضاعف قرابة الخمس مرات خلال الثلاثين سنة الماضية. وهناك ازدياد مرافق في الهروب من المدرسة، وإدخال الكحول والعقاقير والمخدرات إلى المدارس، والسرقات في حرمات المدارس، والاعتداءات على الأساتذة.

وإذا ما استمرت الحالة الحالية فقد قدِّر أن واحداً من كل تسعة شباب في أميركا سيظهر في المحاكم قبل عمر 18 سنة!.. وسأتحدث لاحقاً في نهاية هذا الكتيب عن ظاهرة تستدعي التوقف عندها

وهي ارتفاع أرقام حالات الأطفال المساء إليهم، وكما أوضح برونفينيرير أيضاً: "إن الإساءات الكبيرة للأطفال تحدث في عائلات الوالد الواحد، والسبب يعود إلى الأم نفسها، وهي حقيقة تعكس تشتت الحالة التي تعاني منها بعض النساء الشابات اليوم. ومن الواضح أن الوالدية، وبشكل خاص الأمومة لم تعد مضبوطة بنفس الأحكام - كما كانت عليه سابقاً - خاصةً في المجتمع الأميركي المتغير بسرعة مدهشة.

فماذا يحمل المستقبل؟.

بناء على النظرة الواضح من خلالها هوة واتساع وقسوة الخلل الزواجي، فإن الموجودات الغربية ليست بمعدلات الطلاق المتزايدة، ولكن باستمرار وإعادة اختيار الزواج كإجراء أساس لأغلبية الراشدين في أميركا. والكرب الزواجي قد ينبع من طيف واسع من الأسباب التي تشمل العوامل داخل النفسية وبين الأشخاص.

بالإضافة لذلك فمن اللافت للنظر في السنوات القليلة الماضية في الولايات المتحدة الأمريكية أن الضغوط الاجتماعية والثقافية قد قوّت الطريقة التي يختبر بها الزواج أثناء المرحلة التطورية للمراهقين والشباب الصغار، ولهذا فالزواج عندهم أصبح وسيلة أساسة في "البحث الوبائي المالي عن النفس"..

على أية حال، كل هذه المعلومات تحتاج لزمن ودراسة دقيقة وعميقة أكثر حتى تفهم بشكل أفضل، وربما يكون العائد مضاعفاً. وإن فكرة أكثر واقعية عن ماذا يتوقع أن تقدمه العلاقة الزوجية، وقبول أوسع لفكرة العلاقة المتساوية بحق، يمكن أن تغني بالفعل النمو والتطور الفردي لكلا الزوجين.

الأسرة ذات الوالد الوحيد

الفصل الخامس

يميل الكثير من الباحثين للتفكير في ظاهرة الأسرة ذات الوالد الوحيد على أنها شكل معاصر أخير، مختلف لحياة العائلة خاصة في أوربا وأميركا.

لذلك يدهشنا أن نعلم بأنه بين عام 1900-1910 عانى كثير من الأطفال من تمزّق الزواج في العائلات، هؤلاء الأطفال نسبتهم أعلى من الذين عانوا بين عام 1950-1960. كان السبب الشائع لتمزّق الزواج في العقد الأول من هذا القرن هو موت أحد الوالدين، وفي الوطن العربي كان السبب الشائع لتمزق الزواج في العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين هو الموت بسبب الحروب، وفي الثلاثينات من القرن المنصرم كان السبب في كافة أنحاء العالم هو تجوال الآباء وبحثهم عن العمل مخلفين غالباً العائلة خلفهم، بعد ذلك في نهاية الأربعينات من القرن المنصرم أُخِذَ الآباء للقتال في الحرب العالمية الثانية، أما الآن في الغرب عموماً فنرى الآباء يتركون العائلة بشكل متزايد، لكن بسبب الانفصال بين الزوجين والطلاق.

وللدقة أقول أن 20% تقريباً من الأطفال تحت سن 18 يعيشون مع أحد الوالدين فقط في الولايات المتحدة الأميركية على سبيل المثال، ونصف هؤلاء الأطفال على الأقل قد عانوا من مشكلة طلاق بين والديهم. وفي الـ 25-30 سنة الأخيرة قام الكثيرون بالدراسة والتأليف حول تجربة كون الفرد والداً وحيداً، ومعظمها كانت تشير للمرأة، لأن 90% من بيوت الأسر وحيدة الوالد تدير شؤونها الأم عادة. وفي الماضي كانت المحاكم كلها تقريباً تمنح الوصاية للأم في العالم الغربي. وأما مؤخراً فقد بدأ الآباء يسعون للوصاية على الأولاد بصورة متزايدة في الغرب، وقد تضاعف عدد الأسر التي يديرها الأب بمفرده مرتين من 1970-1981، وأكثر من ثلاث مرات في عام 2000، ومن المحتمل أن يستمر هذا بالزيادة لأن كثيراً من الدول الأوربية والولايات في أميركا تسنّ قوانين الوصاية المشتركة بين الأم والأب. وهذه الظاهرة تشير إلى أن المجتمع الغربي بشكل عام والأميركي بشكل خاص يغير وجهة نظره حول كون الأم فقط هي المربية القادرة والمؤهلة.

أما في العالم العربي والدول التي تعمل بالقوانين المستوحاة من الشريعة الإسلامية فحق الوصاية هو للأب عادة ولا يمكن للأم أن تكون وصية على أطفالها إلا في حالات نادرة جداً، أما الحضانة

فهي للأم حتى سن معين (يختلف هذا السن من بلد إلى آخر وبعض الدول تعتبر فترة الحضانة هي تسع سنوات للطفل وإحدى عشرة سنة للطفلة) مع مراعاة مشاهدة الأب لهم برعاية قانونية، وبعد هذا السن تُسلم الأم الأطفال للأب أيضاً مع مراعاة مشاهدتها لهم بشكل يبيحه القانون أيضاً.

دُرست المشاكل التي تنشأ حول الوالدية الوحيدة من قبل *Schlesinger - Ilgenftitz* وقد وجدا المشاكل التالية:

(صعوبات تتعلق بتربية الأولاد، الاهتمامات الجنسية، العداء تجاه الرجال، الخوف أن يصبحن وحيدات، تردّد وحيرة في إعادة بناء علاقات اجتماعية، صعوبات مالية، وفقدان احترام للذات مترافق مع إحساس بالعار والإخفاق، ...).

وإن مشكلة دخل الأسرة لها تأثير كبير فقد وجد هبوط حقيقي وجوهري في الدخل أثناء الطلاق، وتبيّن أن 25% من المطلقات أو المنفصلات أو الوحيدات يحتجن لتلقي دعم من أجل أطفالهنّ.

ولقد تبين من دراسات Cox و Hethering أن أفراد العائلة ذات الوالد الوحيد أقل تنظيماً وأكثر قلقاً وغضباً ورفضاً من قبل الغير وأقل كفاءة من ذات الوالدين، ووجدا أيضاً تناقصاً في التنظيم الوالدي وفقداناً للسيطرة الوالدية على الأبناء. إلا أن دراساتٍ قليلة في أميركا وجدت أن الوالدات الوحيدات متفوقات مسيطرات وذوات نمو عاطفي جيد، وأن الآباء الوحيدين يشعرون بقدرات ودوافع إيجابية عندما يكونوا وحيدين. ولكن تبين أن هؤلاء النساء والرجال كانوا أكبر سناً، جيدي الثقافة ومتزوجين لفترة أطول، وقد تربوا هم أنفسهم في ظلّ والدين صحيحين، وإن تمثلهم مع والدين قديرين كان أحد العوامل التي أدت لحصولهم على الوصاية على أطفالهم.

مهمة إعادة استقرار العائلة

ليس من المستغرب لأي شخص سواءً أكان باحثاً أم شخصاً عادياً أن يعرف أن السنة الأولى التي تلي الطلاق هي الأكثر صعوبةً بالنسبة لكل أفراد الأسرة. ولننظر في بعض هذه المشكلات الرئيسة في هذه العملية:

إحدى هذه المشكلات هي استمرار الرباط الزوجي، فالمتوقع من الزواج هو أن تتأسس علاقة قوية حميمة شاملة لكل شيء. لذلك فهذا الرباط المشترك من العادات والتصرفات والتجارب لن يمحى بسهولة، وهذا الرباط المشترك يجذب للعودة إلى الوراء إلى وضع ما قبل الانفصال، وإن هذا السلوك غير مرتبط بالحب أو الاحترام أو الإعجاب الذي يكنّه كل شريك للآخر، بل هو الخوف الشديد من الوحدة، لذلك نادراً ما تكون تصرفات الأفراد في هذه المرحلة عقلانية، وكثيراً ما يتصل الشريك بشريكه تلفونياً لمناقشته بأمر الانفصال.

وقد يصل بالأشخاص غير المتزنين لمحاولة الانتحار وإحداث كارثة أحياناً. وهذه المحاولات للتمسك والتعلق بالشخص المنفصل شيء طبيعي، لأن هناك خوف شديد من الوحدة يعاني منه معظم الناس في انفصالهم الأول.

وعندما يحدث الانفصال، وتشقّ الحقيقة طريقها إلى مستوى الإدراك، يبدأ حدوث مجموعة استجابات:

1. الميل للتفكير حول الشخص المفقود، مع تذكر الأيام معه، والنزاعات والنقاشات وما حدث من أخطاء في العلاقة.

2. الحاجة لتحقيق اتصال مع هذا الشخص المفقود باختلاق حجج وهمية، مثل أن هناك عطل في الحمّام أو المطبخ أو الكهرباء وتتصل لتسأل عن عنوان السمكري أو الكهربائي.

3. الغضب من الشخص المنفصل، وبالنسبة للأطفال، الغضب على الوالدين كليهما.

4. الشعور بالذنب وإلقاء سبب الانفصال على الذات "ربما كان خطأً أن أفعل هذا، ربما لم يكن عليّ أن أتمسك برأيي".

5. ظهور "تفاعل الإنذار ***Alarm Reaction***" أو فرط الحساسية تجاه الرغبة في عودة الشخص المنفصل "فإذا رنّ الهاتف هل هو الذي يتصل".

6. استمرار حدوث تخيلات مثل "ربما في المستقبل سنعود لبعضنا، أو لسنا مسؤولين عن حدوث هذا، لم يكن خطأنا". والأطفال خاصةً يكون عندهم تخيلات شديدة حول إمكانية عودة الوالدين لبعضهما مستقبلاً.

وعندما تزول مرحلة الكرب الشديد والتي قد تستمر لمدة سنتين تبدأ مرحلة الانعزال الذي يشبه الاستيقاظ من نوم عميق، بتذكر

الأصدقاء والأطفال والعالم المحيط، وتخفت مشاعر الغضب وتعود مشاعر العطف والرقة للظهور، وتعود الحياة لطبيعتها الروتينية السابقة، وهذا كله يسبب تناقضاً لما حدث.

ثم تعود الذكريات الجميلة إلى الذاكرة والخيال، واللحظات السعيدة التي حدثت قبل الانفصال، فقد تظهر تخيلات حول نهاية أسبوع سعيدة أو يوم عطلة تقضى مع الزوج، أو ترتيب موعد غداء معه، وقد يظهر ضد التناقض على شكل اهتمام بارتباطات الزوج بعد الانفصال، وحدوث دفعة من الغضب إذا أحدث علاقة جديدة.

وكثيراً ما يعبر عن هذا التناقض بطريقة أكثر مباشرةً عن طريق معاملات الطلاق، وتسوية بعض الأمور التي طالت ولم تجد حلاً.

وقد يعاني الأطفال أيضاً من هذه المشاعر المتناقضة عندما تبدأ حياتهم بالاستقرار، فهم يعرفون أن حياتهم ربما أصبحت أكثر استقراراً وراحة من السابق، ولكن بالمقابل يهتمون بالإبقاء على علاقة مع الوالد المنفصل، وقد شاهدنا كثيراً من القصص التي تبين أن الأولاد يحبون دائماً رؤية الوالد المنفصل، وإن كان ذلك بفترات متباعدة وبعد زمن طويل من الانفصال.

الفصل السادس

بعض القضايا الخاصة المتعلقة بالوالد الوحيد والأولاد

التأديب

إن تأديب الطفل ليكون ذا خلقٍ جيد هو أمر ليس باليسير إن لم يكن صعباً، سواءً عند وجود والد وحيد أو عند وجود الوالدين.

ورغم وجود صراعات ونزاعات حول مواقف تربية بين الوالدين أحياناً إن لم أقل غالباً. فإن الطاقة المتطلبة من قبل والد وحيد ليكن قادراً على إنشاء وتعزيز الخلق الجيد عند أطفاله هو أمر شديد الصعوبة.

فالوالد الوحيد لا يستطيع أن يقول لابنه: "اذهب واسأل والدك الثاني"، وكذلك لا يوجد من يمتص الغضب الناشئ بين أحد الوالدين والطفل حول موقف تربوي معيّن. هذا الامتصاص الذي يقوم به عادة الوالد الثاني.

إن الطفل في العائلة ذات الوالد الوحيد لا يملك الفكرة الوهمية التي تريحه عادة: "إن أبي يحبني في جميع الأحوال" عندما تكون الأم هي الظالمة مثلاً بنظر الطفل و العكس بالعكس.

إن هذا الامتصاص للغضب هام أيضاً للوالد الآخر، خاصة إذا عرفنا أننا كأهل قد نقع من فترةٍ لأخرى في فخ صراعات مراحل تطورنا النفسي السابقة، والتي تلعب دوراً في طريقة تنشئتنا لأطفالنا. وإن الميل ليكون الوالد شديد التساهل أو شديد الضبط لأولاده هي أمور صعبة بغياب الوالد الآخر.

وكذلك فإن تأديب الأطفال وإنشاء خلق جيد عندهم هو أمر صعب بالنسبة للوالد الآخر الذي لا يراهم سوى لفترة محدودة.

انتحال أدوار معترضة اجتماعياً لأشخاص آخرين

تصبح على الوالد الوحيد مهمة شاقة في انتحال دور الوالد الآخر. فبالنسبة للمرأة مثلاً، عليها أ ن تقوم بدور الأب، لكي تضبط المنزل وتقوّم سلوك الأولاد، وبما أن الأم غالباً ما تتمنى أن تكون هي مصدر الدفء والحنان والرعاية للأولاد، فهذا يخلق مشاكلاً كبيرة عاطفية بالنسبة للأم، وبالنسبة للأولاد أيضاً، وكثيراً ما يقول الأبناء لأمهم حينئذٍ: "أمي، إنك تبدين كأب وليس كأم".

خاصة بالنسبة للأطفال الصغار، فإن أدوار الأب والأم تصبح غائمة وغير واضحة في العائلة ذات الوالد الوحيد، رغم حقيقة كوننا نعيش في عصر يسهل تبادل المهمات والأدوار فيه.

تعزيز هوية الأطفال والأهل

إن الطفل في العائلات المختلفة بين الجنسين، بين والده ووالدته، وفي كثير من الأحيان يكون التمثل لديه أكثر عمقاً من مجرّد أن الذكر يفعل هذا، والأنثى تفعل هذا، وإن الطفل بحاجة إلى ما يمكن أن ندعوه المرجع الشخصي ***Personal Reference***، وهذا يعني أن يعرف أن أبيه يحبّ هذا ولا يحبّ ذاك ويفعل هذا ولا يفعل ذاك، بينما أمه تحبّ ذاك ولا تحبّ هذا، وتفعل ذاك ولا تفعل هذا، وهذه مشكلة كبيرة لأن الطفل، خاصة في النصف الثاني من العقد الأول، عليه تحديد الأدوار والهوية الجنسية، فعدم رؤية ماذا يفعل الجنسان المختلفان سيخلط الأمور عليه.

وأذكر طبيبةً من زملائي في الدراسة الجامعية، اتصلت بي تأخذ رأيي بكيفية تدبير التعامل مع طفلها، وكانت قد انفصلت عن زوجها، وحدثتني عن موقف مع طفلها قائلةً: (سألني ابني ذات مرة عندما كنت أضع أحمر الشفاه والزينة على وجهي، ... هل

سأصبح فتاة عندما أصبح في السادسة".. وعندما استفسرت منه عن الأمر، لم يعرف الجواب وارتبك فعندها أفهمته أن الصبيان لا تتاح لهم الفرصة ليعرفوا كيف يتصرف الأب عندما يستعد للخروج، فكل ما يفعله هو حلاقة ذقنه وتمشيط شعره وتنسيق ربطة عنقه. وأحسست بصعوبة أن يتمثل هذا ...).

هل يجب أن يكون الوالد الوحيد خارقاً؟. فهل يجب مثلاً أن تتعلم الوالدة كرة القدم أو أن تكون شرطية، ... الخ؟ وهل يجب على الوالد أن يتعلم الطبخ والجلي وغسل الملابس وكيها وحياكة ستائر المنزل ... الخ؟.

فكل والدٍ وحيد يشعر بالذنب أو بالخوف، لأن بعض الفعاليات لن تجري كما كانت تجري سابقاً قبل الانفصال. وربما كان الأفضل والأحسن للأطفال أن يعرف الوالد حدوده وإمكانياته فتقول الأم مثلاً: "أنا لا أحبّ أن ألعب كرة القدم، ولكن لآخذك مثلاً عند خالك كي يلعب معك"، أو "لا أستطيع أن أصنع لك الحلويات، لنذهب ونشتريها من الخارج"، فمثل هذه الأمور تساعد الطفل على تمثل شخصيته، وتمنحه شعوراً واقعياً لإمكانياته.

فائدة الدعم الاجتماعي

يمكن لهذه الفائدة أن تحدد بمهمتين:

أولاً: تأمين مصادر دخل مادية في حال وجود ضعف وارد مادي، وعدم إمكانية الوالد الوحيد تأمين مصدر مالي زائد عن هذا الذي يستطيعه.

وثانياً: تأمين علاقات اجتماعية مفتوحة مع أهل وأطفال من عائلات أخرى ذات والد وحيد.

ويلاحظ أن الأطفال لهم دور كبير في هذا، فهم الذين يسعون للتعارف على الأطفال الآخرين، ويؤدون مهمة فسح مجالات تعارف بين أهلهم المطلقين، لذلك نجد أن المطلق الذي ليس عنده أولاد، يجد الدخول في علاقات اجتماعية أصعب من المطلق الذي عنده أولاد.

ملاحظات هامة

إن الوقوع في الحب مجدداً لا يمثل أمراً بسيطاً هنا كما هو الحال عند الشباب والفتيات، وعندما تتم الاتصالات الهاتفية والمغازلة على مرأى ومسمع الأطفال فإن الأمر يزداد تعقيداً.

وإن موضوع إقامة علاقة عاطفية عقب الانفصال أمرٌ يستدعي التفكير العميق، والإحساس بشكل خاص بوجود الأطفال.

لذلك فالشخص الجديد الذي سيخترق مجال الوالد أو الوالدة كشريك لحياته، هو شخص لا يعرف عنه الطفل شيئاً، وسيراه على علاقة مع أبيه أو أمه، ولا يفهم معنى هذه العلاقة وطبيعتها، وسيقوم بطرح أسئلة عديدة شعورياً أو لا شعورياً: "كم سيبقى هذا الشخص معنا ؟. هل يجب أن أبذل جهدي للتعرف عليه؟. هل سيبذل هذا الشخص جهده للتعرف عليَّ؟. هل سيتحكم هذا الشخص بعواطف أمي؟. هل ستتحكم هذه المرأة بعواطف أبي؟. ماذا سيكون ردّ فعله إذا تصرفت معه بشكل شقيّ، ماذا سيكون ردّ فعلها إذا تصرفت معها بشكل شقيّ؟.. أو على العكس بطريقةٍ ودية؟ بأية طريقة ستتغير حياتي؟. وهل سأتمكن من رؤية والدي المنفصل؟".

قد يتدخل الأولاد بحد ذاتهم فيسألون " أبي هل ستتزوج منها؟".. أو "أمي هل ستتزوجين منه؟".. فعندها لا بد من التكلم معهم عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وفق عمرهم أو الاستعانة بالأخصائي، لتوضيح مفهوم الزواج وخاصةً موضوع مشاركة الحياة، ومبادلتهم الأفكار والمفاهيم حول طبيعة هذه العلاقة.

اضطراب الوظيفة الوالدية والإساءة للأطفال

الفصل السابع

تاريخ سوء معاملة الأطفال

لقد عُرفت الإساءة للأطفال منذ فجر التاريخ بأشكال وصور مختلفة كالإساءة الجسدية، الإهمال، الإساءة العاطفية، الإساءة الجنسية، وحتى قتل الأطفال.

نعم لقد تمت ممارسة عملية قتل الأطفال منذ القدم، ووأد البنات الذي استفحل في عصور الجاهلية خير مثال على ذلك. وأما القوانين التي تحرّمه فقد وضعت في عهد حمورابي، كذلك أتت الرسائل السماوية والديانات لتحرمه..

أما الأشكال الأخرى للإساءة للأطفال فقد تم التغاضي عنها من قبل المجتمع حتى القرن التاسع عشر حيث أدت إساءة معاملة الأطفال الصغار في العمل خلال الثورة الصناعية إلى صدور قوانين العمل المتعلقة بالأطفال في إنكلترا.

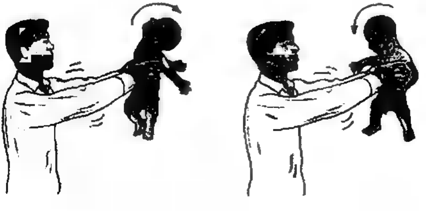

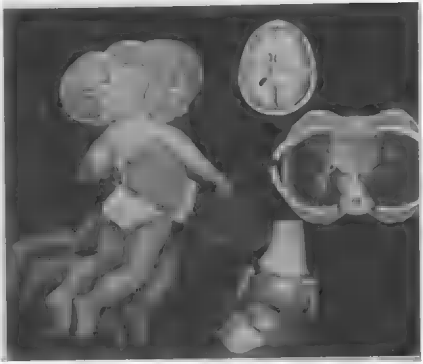

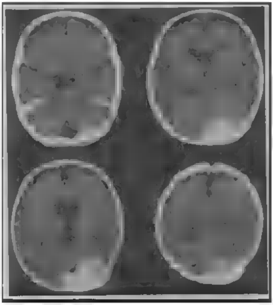

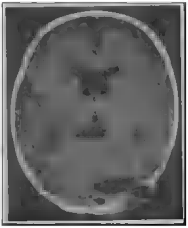

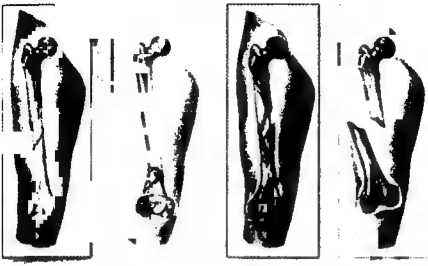

في أمريكا وإنكلترا تطورت جمعيات منع الإساءة للأطفال بعد انتشار وشيوع قضية *Marry Ellen* في نيويورك عام 1874 فقد كانت طفلةً غير شرعية، وكانت تعامل بقسوة من أمٍ تبنتها ومن قبل زوج هذه الأم. وتم وضعها تحت الوصاية نتيجة الفعالية القانونية للجمعية الأميركية للرفق بحيوانات الأرض.

أما نقطة التحول الهامة فكانت في عام 1950 حين بدأت مهنة الطب تنظر باهتمام لهذه القضية. ففي هذا الوقت اكتشف أخصائيو الأشعة بمصادفة غريبة سبب كسور القحف، والأورام الدموية تحت الجافية، والكسور العديدة في العظام الطويلة التي

صـورت بأشـعة x للأطفـال المـزعوم أنهـم أصـيبوا بهـا بواسـطة حـوادث، وتبين لهم أن هذه الإصابات ليست نتيجة حوادث وإنما هي بسبب القائمين على العناية بهؤلاء الضحايا غير المحظوظين.

أخـذ الدكـتور *C.Henry Kempe* وزمـلاؤه هـذه القـضية علـى عـاتقهم، وقامـوا في عـام 1962 بنـشر مقالـة "تـناذر الطفل المضطهد *The Battered Child Syndrome*" وهـذه المقالـة أثارت اهتمام مهنيـي الطـب، وأدت لـزيادة الجهـد المـوجّه لتشخيص ومعالجـة هؤلاء المرضى وعائلاتهم.

C.Henry Kempe

نسبة حدوث سوء معاملة الأطفال

هذه النسبة غير معروفة تماماً، وتقريباً من المستحيل تحديدها بدقة. وإحصاءات مثل هذه تبقى مضلّلة، لأن الكثير من الحالات لا يبلغ عنها، وفقط بعض حالات الإساءة الجسدية الشديدة أو الخطرة قد تعرّف كحالات إهمال الأطفال.

إن العاملين في هذا المجال يقدرون أن ما يقارب مليون ونصف المليون طفل تتم الإساءة إليهم ويهملون في كل عام في الولايات المتحدة وحدها. وأيضاً نفس العدد في أميركا وحدها يتعرض لإساءة جنسية ويتزايد هذا العدد بصورة أسرع من بقية حالات سوء المعاملة.

• إن حوالي 3000-4500 طفل على الأقل يموتون سنوياً في U.S.A كنتيجة للإساءة المتكررة أو الإهمال المستمر، وهكذا فالإساءة للأطفال هي مشكلة ذات نسبة أذيات ووفيات أكثر من تلك الأسباب الأخرى التي نعرفها جيداً، تؤدي لوفيات الأطفال، مثل الأمراض الخمجية، الابيضاض والحوادث.

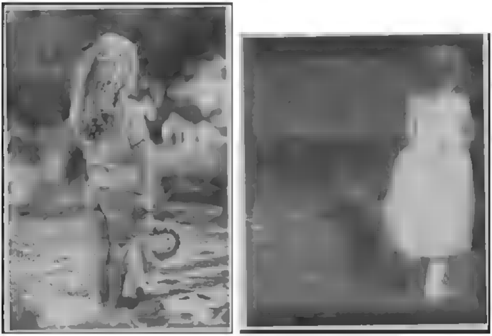

تحدث أذيات الأطفال في كل الطبقات الاجتماعية والاقتصادية، وفي عائلات لها درجات إنجاز ثقافي مختلفة، وبين متعبدين من مختلف التعاليم الدينية، وبين هؤلاء الذين ليس لهم أي مذهب ديني أيضاً.

الحلقة المتكررة للإساءة للأطفال

الحقيقة إن الإساءة للطفل مشكلة كبيرة جداً، والإصابات التي شوهدت منها خطيرة جداً، ومنها ما يصعب تشخيصه بسبب اختلاطه مع أمور أخرى. والأصعب من وضع التشخيص، هو مسؤولية الطبيب الخاصة تجاه هذا الوضع، حيث تحوّل هؤلاء الذين يفترض بهم أن يحبوا ويعتنوا بالطفل إلى أشخاص يسببون له الأذى والضرر.

يكون هلع الطبيب تجاه هذه المواقف شديداً، ويتعامل مع عملية الإساءة بسلبية منكراً إياها وباحثاً عن أسباب عضوية للأذية، أو يقبل القصص غير المقنعة التي تعزو سبب ذلك لحادثٍ ما، أو أن يقوم الطبيب بالانفجار غضباً على الأهل أو المربّين.

لكن في الحقيقة، إن أياً من هذه الإحساسات لا تفيد في التعامل مع هذه المشكلة، لأنه، وبدون استثناء، فإن الأهل المسيئين كان مساءً إليهم في طفولتهم، والمأساة تكرّر نفسها. لذلك فالإساءة لتطور عواطف وشخصية الفرد هي أكثر أهمية من الإساءة الجسدية لأن هذه التأثيرات العاطفية تدوم أكثر، ولأن تجربة الطفولة هذه ستقود في المستقبل إلى سوء الوظيفة الوالدية تجاه أطفالهم.

الطفل المساء إليه

قــام *Arthur Green* بدراســة في مركــز *Downstate* الطــبي في بروكلين على 60 طفلاً وأمهاتهم تراوحت أعمارهم بين 5-12 سنة. كان بينهم 30 طفلاً مهملاً معرّضاً للإساءة، و30 طفل غير مهملٍ غير معرضٍ للإساءة، وخضع كل الأطفال لفحوصات نفسية وعصبية. أظهرت النتيجة أن الأطفال المتأذّين أبدوا أذىً واضحاً بالمقارنة مع الطبيعيين.

Arthur Green

إن حوالي 25% من الأطفال المساء إليهم كانوا يعانون من درجة من الإعاقة مع نسبة ذكاء أقل من 70% وعندهم صعوبات في العلاقة مع الموضوع، والسيطرة على دوافعهم. وكانوا يعانون من فقر في الصورة الذاتية، وكانت صورتهم لذاتهم مشوهة، وكانوا مكتئبين أكثر من أقرانهم الطبيعيين، وكانوا يجدون صعوبات مدرسية، كما كانوا عدوانيين لهم ميول كره للآخرين ويعانون من صعوبات تعليمية واضحة. كما أبدى الكثير منهم كرهاً محطماً

للذات. لقد حاول بعضهم الانتحار. وهذا يوضح العلاقة بين هؤلاء الأطفال المساء إليهم والأهل المسيئين. بالإضافة إلى ذلك فإن 31% من الأطفال المساء إليهم وجد عندهم إصابات عصبية مع كسور قحف، ورم دموي تحت الجافية، قصور دماغي، كدمات رأسية شديدة. ولقد بينت الدراسات أن قسماً من هؤلاء الأولاد المساء إليهم كان عندهم تصرفات منحرفة منذ ولادتهم، وأن هذا يولّد سبباً لكره أهلهم لهم والإساءة إليهم، وهذا يولّد تصرفات منحرفة أكثر وهكذا تدخل في حلقة مفرغة من الإساءة للطفل والتصرفات المنحرفة.

الأهل المسيئون

غالباً ما تكون علاقات أمهات الأطفال المساء إليهم، مزعزعة وضعيفة. وغالباً ما تكنّ قد انفصلن عن أهلهن من فترة باكرة، وربما عانين من الأذيات والاستغلال من قبل أهلهنّ، وعندهنّ صراعات مع أزواجهن. ونسبة قليلة منهنّ قادرات على إنشاء علاقات مع الجوار. وهنّ لا تطلبن المساعدة من أحد، وتكون

تجاربهن ناقصة فلا تستطعن اللجوء لأحد وعندما تمر بهن صعوبات فهن تلجأن لأطفالهن، وبهذا تحقق عكس السلوك

الطبيعي الذي من المفترض أن تأخذه الأمهات. وتسمى هذه الظاهرة **انعكاس الأدوار** ***Role Reversal***، وتختلف هذه الظاهرة باختلاف عمر الطفل فالطفل في عمر المدرسة يطلب منه أن يكون قادراً على الطهي والاعتناء بالأشقاء الأصغر سناً وتنظيف المنزل.

أما الطفل الدارج يتوقع منه أن يتحكم بمصرّاته بشكل جيد، وأن يكون قادراً على الأعمال الحركية التي تفوق قدرته الحقيقية. وفي فترة الرضيع، تنظر الوالدة إلى إطعامها لطفلها كإشباع حاجة عندها وليس لسدّ حاجات الطفل، كما هو المألوف، فتتضايق إذا رفض الرضاعة، أو إذا لم تنجح بتهدئته، أو إذا لم ينم كما هو المفروض. أو إذا لم يزدد وزنه. وتعتبر هذا رفضاً شخصياً لها، على أنها غير جديرة بالأمومة.

والمهم أن كل هذه الأمور تجعل الطفل غير قادر على تحقيق الأمور المنوّطة به والتي هي حكماً أكبر من طاقاته. وهكذا فإن هذا الطفل غير المستجيب يمثل صورة لا شعرية عن أمها الرافضة وصعبة المراس.. وكنتيجةٍ لهذا، تعتبر الأم هذا الطفل من أصعب الأولاد مراساً وأشدهم تعذيباً، مع أن هذا الطفل هو الأكثر حاجةً للعطف والحنان بسبب عدم قدرته على التلاؤم مع المتطلبات الزائدة المنوطة به من خلال اللعبة الكبيرة والتي سميناها لعبة انعكاس الأدوار.

يجب ألا يُفهم من هذا أن المسؤولية تقع فقط على عاتق الوالدة، ففي نصف الحالات يكون الوالد هو المسؤول، وهناك كذلك زوجات الآباء أو أزواج الأمهات، والذين يلعبون غالباً دوراً عن طريق تحريض الوالد الفعلي للطفل بالإساءة بما ينقلونه عن الطفل،

وهم في حال غياب الوالد الفعلي سيتحوّلون إلى آباء مسيئين. وإن هؤلاء الأطفال المساء إليهم سينقلون تربية أهلهم إلى تربيتهم لأولادهم عن طريق الذكريات المكتسبة والخيالات التي أخذوها عن تربية أهلهم لهم.

وفعلاً أجرى العلماء تجارب عديدة على الحيوانات حول هذا الموضوع منها تجربة على الحمير بأن حذفوا الحمار والحمارة الوالدين، وأساءوا للأولاد الحمير فكانت النتيجة أن أساء هؤلاء الحمير الأولاد لأولادهم.

كما أجريت تجارب على عدة أنواع من الحيوانات الثدية بما فيها القـردة وكانـت النتيجة نفسها، وهكـذا توصـل العلمـاء إلى إن الإساءة للطفل هي عبارة عن تناذر عائلي مرضي.

إن الإساءة للطفل تعود إلى ثلاثة عوامل هي:

1. شخصية الأهل الميالة للإساءة.
2. صفات الطفل والتي تجعله عرضةً لأن يكون كبش الفداء في الإساءة.
3. شدات محيطية تزيد من عبء رعاية الطفل.

وسأشرح هذه العوامل بلمحة سريعة:

إن صـفات شخـصية الأهـل المـيالين للإسـاءة تتضمن صعوبة السيطرة على الـــــــنفس *Poor Impulse Control* ونقـص في مفهـوم الـذات، وزيـادة استعمال وسـائل الـدفاع مـن إنكـار وإسقاط وتطرف.

وهـؤلاء الأشـخاص يحاولـون، بـصورة يائـسة، المحافظـة علـى أنفسهم عن طريق وسائل الدفاع النفسية بأنهم ليسوا غير مؤهلين وأنهـم كفـوئين وليسوا غير نـافعين لـشيء. وعلى عكس الاعتقاد الـسائد فإن 10% فقط من هؤلاء المرضى يظهرون سلوكاً نفاسياً ذا طبيعة مزمنة.

إن مساهمة الأطفـال في تـسبب الإسـاءة تنـتج عـن أي انحـراف جسدي أو سلوكي يزيد من صعوبة التربية، فمثلاً: طفل مصاب بعطـب دماغي أو ذهـان أو علـة جسدية. وكذلك قد يكون الطفل كبش فـداء إذا ذكّـر والدتـه بـشخص أو موقـف كـريه كـأن يكـون

الطفل نتيجة زواجها غير السعيد، أو أن يشبه زوجها الذي تحتقره.

والعامل الثالث هو الشدات المحيطية والتي قد تؤدي إلى الإساءة عن طريق الإخلال بالتوازن القائم بين السعادة الناشئة عن تربية الطفل وصعوبة هذه التربية، فالمرض الجسدي لأحد الوالدين أو هجر أحد الوالدين أو فقدان الدعم من الأقرباء، كلها قد تنقص من القدرة على رعاية الطفل. وهكذا، عندما تزيد الضغوط البيئية فإن التباعد بين قدرة الأهل على الرعاية وحاجات الطفل تدفع الأهل المنسجمين إلى طلب المعونة من أهلهم أو أزواجهم أو أصدقائهم، بينما الأهل المسيئين سيتوجهون للطفل لأجل المساندة. كذلك تعمل الكحولية وإدمان المخدرات على إنقاص قدرة الأهل على سيطرتهم على الدوافع الهجومية والعنيفة عندهم.

وهكذا، فإن إحساس الوالدة بالرفض وعدم الكفاءة يمثل الآن الجزء السيئ منها، وبضربها للطفل فإنها تعاقب الجزء السيئ فيها، وإذا أزيل الطفل المساء إليه من المنزل فإن غضب الأم يمكن أن ينصب نحو داخلها منتجاً اكتئاباً شديداً، أو يمكن أن تختار الوالدة كبش فداء آخر لتسيء إليه. ونفس الحديث أيضاً يوجه نحو الأب.

الإساءة الجنسية

إن عدد حوادث الإساءة الجنسية قد ازداد في العقود الثلاثة الأخيرة رغم عدم وجود دلائل ثابتة على ذلك. وهذه الإساءة تحدث في مختلف الأعمار من مرحلة الرضع إلى المراهقة، ويمكن أن تتضمن جميع أنواع الفعالية الجنسية من تدليك الأعضاء التناسلية إلى ممارسة العادة السرية إلى العلاقات الجنسية الفموية والاتصال الشرجي إلى الممارسة الكاملة والاغتصاب، وربما تكون متغايرة الجنس أو متماثلة الجنس.

إن الأشخاص الذين يسببون الإساءة الجنسية يمكن أن يكونوا من أعضاء العائلة من أي سن كان، وإن هناك نسبة ضئيلة من الإساءة التي يقوم بها الغرباء رغم أن هذه غالباً هي التي تكشف للرأي العام والقضاء.

إن انتهاك المحارم Incest هو شكل للإساءة الجنسية ويحدث بين الأب أو زوج الوالدة وبين البنت. أو حتى بين عشيق الأم والبنت. ويعتبر الغرب أن الأعمال المتعلقة بالشغف الجنسي والاستكشاف الجنسي شائعة بين الأخوة والأخوات أيضا، والأخصائيون في الغرب عموماً وفي أميركا خاصة - مع الكثير من تحفظي على آرائهم - لا يعتبرون ذلك نوعا من الإساءة الجنسية إذا لم يتطور إلى ممارسة كاملة أو فعالية جنسية أخرى بالإكراه.

على أية حال، إنّ الفعالية الجنسية بين الفتيات وبين أقارب ذكور للعائلة تحدث بنسبة أقل. وإن الجنسانية المثلية (الجنوسة) بين أفراد العائلة شائعة أكثر مما كان يعتقد في السابق خاصةً بين الأبناء الذكور وآبائهم أو أزواج أمهاتهم خاصةً في العالم الغربي وأميركا وفق أحدث التقارير الأميركية المنشورة. وإن الإساءة للفتاة أو

الفتى من قبل نساء أقارب أقل شيوعاً، ولعل أقل الأشكال شيوعاً هو الإساءة من قبل الأم لطفلها الذكر.

إنّ الإساءة الجنسية لها عدّة صفات مشتركة مع الإساءة الجسدية والإهمال، والأطفال يمكن أن يساء لهم جسدياً في البدء ثم جنسياً لاحقاً، وهناك حالات تحدث فيها إساءة جنسية

دون إساءة جسدية، وكما أن هناك قصة عائلية للإساءة الجسدية، فهناك قصة عائلية لانتهاك المحارم.

وكما هو الحال في الأشكال الأخرى فليس هناك علاقة بين الإساءة وبين المستوى الاقتصادي والاجتماعي أو المستوى التعليمي أو البيئة أو العرق. وفي بعض الحالات، فإن العيش في جو مزدحم أو الكحولية تزيد من نسب الإساءة الجنسية، وهناك غالباً تغاضي لا شعوري بشكل أو آخر من جانب الشريك غير المسيء، وأكثر من ذلك لا يستبعد الباحثون أنه قد يكون هناك دفع للشريك المسيء من قبله.

إن الإساءة الجنسية ليست ظاهرة جديدة فجائية على العائلة، بل هي تراكم، وبمثابة نوع من الهروب من ضغوط وصراعات عائلية، وإن وجود صعوبات بين الوالدين في تقدير كل منهما للآخر وفهمه، وخاصة في المجال الجنسي تكون هي العامل المسبب للإساءة الجنسية وانتهاك المحارم. ولا تكون الإساءة الجنسية سبباً لها، بل على العكس فهي من نتائجها.

وإن تأثيرات الإساءة الجنسية هي نتائج تظهر على المدى البعيد، وهي نتائج ناجمة عن الأذية النفسية والتشوه التالي للتطور الجنسي النفسي، وليست بسبب الأذية الجسدية الناجمة عن الإساءة الجنسية.

وكلما كان زمن الإساءة مبكراً في حياة الطفل كلما كانت التأثيرات على التطور النفسي الجنسي أكثر شدة، وكلما تأخرت ورافقها نوع من الخداع كلما كان تأثيرها أقل رغم حدوث الاضطراب النفسي الذي لا بد منه.

إن النتائج بعيدة المدى يمكن أن تظهر على شكل امتناع تام عن العمل الجنسي، أو عكس ذلك على شكل دعارة. والنتائج النفسية الأخرى تتضمن اضطراباً في تحديد الجنس وتقديراً منخفض للذات، مع إحساس بعدم الفائدة والانعزال الاجتماعي، وعلاقات سطحية مع الأشخاص، ورهاب، واكتئاب، وزواج فاشل، وخوف من تربية الأطفال.

كما أن الأطفال الذين يساء إليهم وهم في سن المدرسة يظهرون غالباً صعوباتٍ في التعلم وإهمالاً لواجباتهم، أو على العكس يمكن أن يعاوضوا عن طريق دراسة زائدة وحصول على علامات متفوقة.

إن العنصر الأكبر خطورة هو استغلال سلطة الوالدين وإطاعة الأطفال لهذه السلطة وحاجتهم لحب والديهم من قبل الوالدين من أجل إشباع رغباتهم كراشدين، وبطريقة لا يستطيع الطفل أن يفهم ماذا يعمل وكيف يتعامل مع هذا الأمر.

علاج الإساءة للأطفال

إن أية خطة للوقاية من إساءة الأطفال أو لعلاجها يجب أن تغير من العناصر الثلاثة الرئيسة التي ذكرتها سابقاً، فمن الهام إشراك الأهل المسيئين في تجربة عاطفية مصححة لاضطرابهم بواسطة شخص راشد متفهم ومتقبل من العائلة، وقد يكون طبيباً نفسياً أو متخصصاً اجتماعياً أو تربوياً أو أحد الأهل، وهذا المختص يزود الأهل بالطرق السليمة للتعامل مع مثل هذه الحالات...

هناك هدف آخر للعلاج وهو أن يدرك الأهل مدى تداخل ماضيهم في تكوين هذه العلاقة المشوهة مع أطفالهم. والأمر الثاني هو تداخل الطفل في العلاج عن طريق المشاورة مع الأهل، فإذا كان الطفل معاقاً أو سلوكياً فيجب شرح طبيعة المشكلة للأهل بحيث تكون توقعاتهم عن هذا الطفل واقعية ومنطقية، وإن

العلاج خارج المشفى أثبت فائدته في إزالة بعض الأضرار النفسية الناجمة عن الإساءة.

إن الخلل في الأنا، والأذى الذي أصاب الإدراك (الاستعراف) قد يتطلب وسائلاً علاجية مخصصة لتقوية عمل الأنا، وللسيطرة على الدوافع والحوافز.

وكذلك فإن الدعم النفسي التعليمي *psychoeducational Assistance* شيء مطلوب عند الأطفال المساء إليهم في سن المدرسة حيث أنهم يعانون من صعوبات كلام واضطرابات لغة وعدم القدرة على التعلم.

كل هذه المبادئ تطبق في علاج الإساءة الجنسية، ويبنى هذا العلاج على أساس عمر الشخص - مدة استمرار، وشدة الإساءة - ونوع الاضطراب العائلي الذي أدى للإساءة، ويجب على العائلة أن تتلقى علاجاً حيث أن الإساءة الجنسية دليل على تهتك عائلي شديد.

ولا بد أن يدخل الطفل في برنامج العلاج لكي يشعر بالمساندة والثقة ولكي يقول: "لا" بوجه أية محاولة إساءة تالية، وكنتيجة لذلك فإن علاجاً طويل الأمد، بصورة فردية أو بشكل جماعات علاج نفسي، هو شيء أساس لتحقيق الأهداف السابقة الذكر.

ملخص

الطلاق

تشير الدراسات والإحصائيات إلى أن أكثر من 75% من الناس في مختلف أنحاء العالم بين عمر 30-54 سنة هم متزوجون، كما تشير إلى أن المتزوجين لديهم احترام أعلى لذاتهم وهم أصح عقلياً وجسدياً من العازبين والمطلقين.

يعتبر الطلاق مشكلة هامة من مشاكل سن الشباب وما بعده من فترات العمر. في عام 1986 كان هناك 1.1 مليون حالة طلاق في الولايات المتحدة الأميركية وحدها. وتشير الإحصاءات إلى أن حوالي 50% من الزيجات في أمريكا تنتهي بالطلاق، كما تشير إلى أن الرجال المطلقين هم أكثر احتمالاً لتكرار الزواج من النساء المطلقات.

تشير الإحصائيات إلى أن نسبة الطلاق قد أخذت بالارتفاع في معظم دول العالم. فقد ازدادت في أميركا بين عامي 1985 و 1986 فقط

بحوالي 3%، ولوحظ أن حوالي 38% من حالات الزواج الثاني في الولايات المتحدة تنتهي بالطلاق أيضاً، كما أن نسب الطلاق بين الأزواج الذين مضى على زواجهم 15 إلى 19 سنة قد تضاعفت أكثر من مرتين ونصف منذ عام 1960.

أما أهم العوامل المترافقة مع نسب أعلى من الطلاق فهي: الزواج في سن مبكرة، ووجود حالة طلاق في العائلة. وعموماً فإن 5 من أصل 6 من الرجال المطلقين و3 من أصل 4 من النساء المطلقات يتزوجون ثانيةً خلال 3 سنوات.

الأسر التي يغيب فيها أحد الأبوين

في الولايات المتحدة الأمريكية، هنالك أكثر من 30 مليون أسرة لديها أطفال أعمارهم دون الثامنة عشرة، 28% من هذه الأسر تدار وتعال من قبل أحد الأبوين فقط وغالباً ما تكون الأم.

تقدر نسبة الأسر التي يغيب فيها أحد الأبوين في أواسط الأمريكان السود بحوالي 50% من مجمل الأسر وهنا أيضاً غالباً ما تكون الأم هي الوالد المتبقي.

حضانة الطفل

بعد الطلاق، هناك ثلاثة أنماط من الحضانة للطفل هي: الحضانة المشتركة *Joint Custody*، والحضانة الانفصالية (المنفصلة) *Split Custody*، والحضانة الإفرادية (المنفردة) *Sole Custody*. في الحضانة المشتركة يقضي الأطفال وقتاً متساوياً مع كل من الوالدين، وتم إدخال هذا النمط من الحضانة كخيار أو تفضيل لدى أكثر من 30 ولاية أمريكية منذ عام 1986. أما في الحضانة الانفصالية (المنفصلة)، فإن كل واحد من الأبوين يمتلك حضانة طفل أو أكثر من أطفاله بعد الانفصال (أي يتم اقتسام الأطفال بين الأبوين). وأما في الحضانة الإفرادية (المنفردة)، فإن الطفل يعيش مع أحد الأبوين فقط، بينما يمتلك الآخر حقوق الزيارة.

الأطفال في الأسر التي يغيب فيها أحد الأبوين

إن أهم خصائص الأطفال في الأسر التي يغيب فيها أحد الأبوين هي الفشل في الدراسة، والمعاناة من المشاكل العاطفية والنفسية كالاكتئاب وسوء استعمال الأدوية والنشاط المنحرف وحتى الإجرامي. كما أن طلاق الأبوين يحمل آثاراً بعيدة على حياة الأبناء المستقبلية إذ يكونون هم أيضاً أكثر عرضةً لحصول الطلاق

في حياتهم الزوجية. وإن الأطفال الذين تستمر علاقتهم بوالديهم بعد انفصالهما منتظمة سيتابعون حياتهم بشكل أفضل من أولئك الذين ينقطعون عن أحدهما أو كليهما.

أذيات الأطفال

تتضمن أذيات الأطفال سوء المعاملة الصريحة الفيزيائية والجنسية بالإضافة إلى الإهمال العاطفي كالرفض القاسي أو الحرمان الحاد من الحب الوالدي (الجدول رقم 1).

هناك ازدياد في تقارير أذيات الأطفال في الولايات المتحدة، وتشير الإحصائيات المعاصرة في تلك البلاد إلى أن هناك على الأقل مليون طفل يساء معاملتهم سنوياً و 2000-5000 طفل يموتون من سوء المعاملة والإهمال كل عام.

عندما يشك الطبيب بحالة إهمال طفلي أو سوء معاملة يجب عليه أن يتدخل ويرسل تقرير عن الحالة للجهات المسؤولة ويقبل الطفل في المشفى عند الضرورة.

الجدول (1) مميزات اضطهاد الأطفال الفيزيائي والجنسي في أميركا

	الاضطهاد الفيزيائي	الاضطهاد الجنسي
نسبة الحدوث بالسنة	مليون ونصف سنوياً إضافة إلى 2000 ـ 5000 وفيات	250 ألف تقريباً نصفها سفاح قربى
المضطهد	عادة إناث	عادة ذكور مثل الأب - زوج الأم - الأقارب - الأصدقاء وأقل شيوعاً الغرباء
عمر الطفل	32% تحت عمر 5 سنوات 27% بين 5 ـ 9 سنوات 27% بين 10 ـ 14 سنة 14% بين 15 ـ 18 سنة	الذروة في عمر 9 ـ 12 سنة 25% أقل من 8 سنوات
عوامل خطورة عالية	الفقر - العزلة الاجتماعية - اضطهاد الآباء في طفولتهم - الخداجة - نقص الوزن عند الولادة - فرط النشاط	أطفال ووالد واحد - الصراع بين الزوجين - الكحولية

مميزات الأطفال المضطهدين

- الخداجة ونقص الوزن أثناء الولادة عوامل خطورة للإهمال أو سوء المعاملة.
- يرى الآباء أبناءهم المضطهدين بطيئين مختلفين سيئين تصعب تربيتهم.

- الأطفال مفرطي النشاط قد يتعرضون للاضطهاد.

مميزات المضطهدين

- النساء أكثر من الرجال إيذاءاً للأطفال الصغار.
- الاضطهاد أكثر شيوعاً في العائلات الفقيرة المنعزلة اجتماعياً.
- 90% من الآباء المضطهدين اضطهدوا في طفولتهم.

الأذية الجنسية

- تتزايد أذيات الأطفال الجنسية بشكل واسع (ذكور وإناث) حيث تسجل أكثر من 250000 حالة سنوياً في أميركا.
- 50% من هذه الأذيات يرتكبها أفراد من العائلة وخاصة الذكور.
- هناك عوامل ترافق الأذيات الجنسية منها الأم المريضة أو السلبية، الأب الكحولي - الأوضاع المعيشية المزدحمة.
- تعرض الأذية الجنسية الطفل مستقبلاً للقلق، الرهاب، الاكتئاب، عدم القدرة على التعامل مع عدوانيته أو عدوانية الآخرين.

الجدول (2) خصائص المسيء والمُساء إليه

التصنيف	إساءة الطفل
خصائص(صفات) المسيء	• سوء استعمال المادة. • الفقر والعزلة الاجتماعية. • أقرب فرد في العائلة (مثلاً الأم، الأب) هو أكثر احتمالاً للقيام بالإساءة. • قصة شخصية لاعتداء من قبل ولي الأمر أو القرين.
خصائص (صفات) المساء إليه	• خداجات، وزن صغير عند الولادة. • فرط نشاط أو إعاقة جسمية صغيرة. • ملاحظة الطفل كـ "بطيء" أو "مختلف". • ممغوص أو"سريع الاهتياج" عندما كان رضيعاً. • معظمهم أصغر من 5 سنوات (33% من الحالات)، 25% من الحالات هي في عمر 5-9سنوات.

الجدول (3) دليل الإساءة

التصنيف	إساءة إلى الطفل
الإهمال	• سوء العناية الشخصية (طفح الحفاض، شعر وسخ). • الافتقار للتغذية الجيدة.
الكدمات	• خصوصاً في مناطق ليست معرضة للتأذي خلال اللعب الطبيعي مثل الردفين أو أسفل الظهر. • علامات لحزام أو علامات لإبزيم حزام.
كسور وحروق	• كسور بمراحل شفاء (التئام) مختلفة. • كسور حلزونية (لولبية) نتيجة للي الأطراف. • حروق بالسجائر. • حروق على القدمين أو الردفين بسبب الغمر في مياه حارة.

الجدول (4) الإساءة الجنسية للأطفال

الحدوث	• على الأقل 250000 حالة يبلغ عنها سنوياً. • يُبلغ عنها الآن أكثر من السابق. • تقريباً 25% من الفتيات و12% من الفتيان يبلغ عن إساءة جنسية في وقت ما خلال الحياة.
صفات المسيء	• معظمهم ذكور ومعروفين من قبل الطفل (أم، أب، صديق الأم، أحد معارف العائلة). • استعمال الدواء والكحول. • مشاكل زوجية وليس لديه شريك جنسي متبادل مناسب. • ربما غلام.
صفات المتعرض للإساءة	• معظمهم بعمر 9-12 سنة. • 25% منهم أصغر من 8 سنوات. • خوف انسحاب العاطفة أو العقوبة من المسيء إذا كشف عنه المتعرض للإساءة. • العار والذنب غير المناسب.
الدلائل الجسدية للإساءة	• الأمراض التي تنتقل جنسياً STDs. غالباً لا يصاب الأطفال بهذه الأمراض حتى بالاتصال السببي مع شخص مصاب أو من الشراشف (البطانيات)، المناشف، مقاعد المراحيض. • أذية تناسلية أو شرجية. • إنتانات بولية متكررة.

الدلائل النفسية للإساءة	• معرفة نوعية لأفعال جنسية (مثلاً لعق القضيب) عند طفل والأطفال لديهم فقط معرفة غامضة عن الأنشطة الجنسية. • ربما لا تظهر موجودات جسدية في حالات عدم الإيلاج. • بدء متزايد للنشاط الجنسي مع الأصدقاء.

خاتمة

لم يكن كتيبي هذا إلا جهداً يسيراً في سبيل توضيح الجوانب النفسية للطلاق وأثرها على الأبناء، وكلي أمل أن أكون حققت شيئاً ذا فائدة..

كلي أمل.. أن أكون قد وفقت، واستطعت أن أبين، كيف لنا أن نفهم ولو على عجالة بطريقةٍ علمية الآثار النفسية للطلاق على الأبناء هذا الجانب الأهم.

كلي أمل.. أن أرى في الآباء والأمهات الذين يفكرون بالطلاق كخيار أو حل تفهماً أكثر لأطفالهم.. هذه الأمانة التي وضعها الخالق في أعناقنا.. والتي يجب أن نصونها بكل حب ونتعامل معها بأرقى السبل وأنقاها.. وبأقل قدر من التناقضات والسلبيات..

ولنتذكر أن الحياة غير جديرة بأن تعاش بدون منغصات.. وهموم الحياة وصعابها هي كالمحك تبين معدن المرء.. ودرجة نقاء هذا المعدن..

عبد الرحمن

جدول المحتويات

مدخل... 5
1 أسباب خلل الزواج...19
2 الانفصال والطلاق...41
3 أطفال الطلاق...47
4 تشتت العائلة...55
5 الأسرة ذات الوالد الوحيد 61
6 بعض القضايا الخاصة المتعلقة بالوالد الوحيد والأولاد 69
7 اضطراب الوظيفة الوالدية والإساءة للأطفال.................75
ملخـــص 103
خاتمة 113

جدول المحتويات 115

صدر للمؤلف

RAY
فكرة وجيزة عن
الفحص النفسي والعقلي

RAY
فكرة وجيزة عن
فحص الحالة العقلية الحاضرة

كيف نفهم...
رسوم الطفل؟..
RAY

RAY
كيف نفهم...
الطفل والمراهق؟!.

RAY
المُغني
في الطب النفسي

RAY
المُغني
في علم السلوك

RAY
فكرة وجيزة عن
اضطرابات الشخصية

RAY
التدابير في التعامل مع الأطفال
ذوي الاضطرابات النفسية السلوكية

الطـــلاق..

يلخص هذا الكتيب، كيف لنا أن نفهم بطريقة علمية الجوانب النفسية للطلاق وأثرها على الأطفال..

ويعتبر هذا الكتيب فريداً في أسلوبه، وقد كُتِبَ وفق أسس علمية دقيقة وبسيطة لتساعد كل أب وأم ومربي واختصاصي ومهتم على فهم الطلاق وآثاره النفسية على الطفل والأسرة.

120
33 130435
RAY PUBLISHING & SCIENCES
http://www.raypub.com
شعاع